الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

العـَجَائِبيَّةُ فِـي أَدَبِ الرَّحـلاتِ رِحْلَـةُ "أُنْسِ الفَقِيـر وعِـزّ الحَقِيـرِ" لابن قنفذ القسنطيني–أُنموذَجًا–

مقدّمة من قبل:

الطّالب (ة): **سلسبيل بوشبوط**

تاريخ المناقشة: 23/ 06/ 2025

أمام اللّجنة المشكلة من:

الاسم واللّقب	الرّتبـة	مؤسسة الانتماء	الصّفة
إبراهيم كربوش	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسًا
أحلام عثامنية	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفًا ومقررًا
لبنى بوخناف	أستاذ محاضر ب	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنًا

السّنة الجامعيّة:2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الإهداء

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:" من سلك طريقا يلتمس به علما، سهل الله به طريقا إلى الجنة" .

الحمد لله الذي تسبح له الرمال وتسجد له الظلال اشكر الله الذي بلغني هذا المنال.

إلى من كانت دعواتها نور طريقي ، إلى القلب الناصع بالبياض ، إلى" أمي الغالية"رمز الحب وبلسم الشفاء ورفيقة الروح.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء إلى سندي الأول إلى "أبي الغالي" الذي علمني أن بالعزمية والإصرار، تزهر الأهداف نجاحا باهرا.

إلى إخوتي "أحمد، عبد الرحمان، عبد الله" ، إلى من يجري حبهم في فؤادي، أنتم الوطن والرفقة التي لا تنتهي.

إلى رفيق دربي ، إلى من شاركني السعادة والحزن و شاطرني لحظات النجاح و الفشل، إلى "زوجي الغالي "الذي شجعني لإكمال دربي هذا، لك مني كل الحب والإمتنان.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل فبوجودكم أصبح الصعب هينا.

سلسبيل بوشبوط

الشكر و العرفان

قوله تعالى:" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتكفي عبادك الصالحين"

سورة النمل/19/

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل وأنار طريقي وثبت خطاي في درب العلم.

أتقدم بالشكر والإمتنان إلى مرشدتي وأستاذتي **"أحلام عثامنية"** لما قدمته من توجيهات وجهد، والتي كان لها الأثر البارز في إنجاز مذكرتي.

كما أتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين كانوا المثل الذي اقتدي به.

وأيضا احترامي وامتناني الكبير لعائلتي و أصدقائي الذين كانوا مصدر دعمي وسندي في كل مراحل رحلتي.

سلسبيل بوشبوط

الفصل الأول: العجائبية و أدب الرِّحلة

أولا: مفهوم العجائبية

1- في القرآن الكريم

2- لغةً

3- اصطلاحًا

أ- عند الغرب

ب- عند العرب

ثانيا: مفهوم أدب الرّحلة

1- لغةً

2- إصطلاحًا

3-أنواع الرّحلات

ثالثا:الرّحلة في الأدب الجزائري

يحظى أدب الرّحلة بمكانة بارزة في التّراث العربي والإسلامي، لما يزخر به من معلومات تاريخيّة وثقافيّة، وما يحتويه من عناصر أدبيّة تعكس تنوع التّجربة الإنسانيّة وتعدد الرؤى. ومن بين الظّواهر اللاّفتة في هذا الأدب تبرز العجائبية كعنصر فنّي وسردي يضفي على النّص الرّحلي أبعادًا رمزيّة تخيليّة، تتجاوز حدود الواقع المألوف إلى عوالم غريبة ومثيرة للدّهشة. ومن هنا تبرز أهميّة هذا المدخل النّظري الذي يسعى إلى تأصيل المفاهيم المتعلقة بالعجائبيّة وأدب الرّحلة، تمهيدًا لفهم أعمق لتجلياتها في النّصوص الأدبيّة، وتسليط الضّوء على الرّحلة في الأدب الجزائري، باعتبارها جزءًا من الموروث الثّقافي المحلي، ووسيلة للكشف عن التّفاعلات الحضاريّة والدّينيّة في الفضاء المغاربي.

أولاً: مفهوم العجائبيّة:

1- في القرآن الكريم:

يتعامل القرآن الكريم مع العجائبيّة بشكل يتجاوز الدّهشة السّطحية ويهدف إلى إثارة التّفكر والتّأمل في آيات الله وقدرته، والعجائبيّة قد تكون في الآيات الكونيّة مثل خلق السّماوات والأرض أو في المعجزات التي حدثت في حياة الأنبياء، أو في أوقات معينة من أمثلة ذلك:

ذكرت لفظة "العجيب" بمختلف صيّغها في عدة سور من القرآن الكريم، ومن أبرزها: قوله تعالى: «**بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ(2)**»[1]، في هذه الآية أستخدمت لفظة "عجيب" لوصف إستغراب المشركين من مجيء نبيّهم إليهم، حيث كان لهم إستغراب من أن يأتيهم نذير من جنسهم، وورد تفسير هذه الآية عند ابن كثير في قوله: "**أي تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر**".[2]

وجاءت بنفس الصيغة في سورة "هود" في قوله تعالى: «**قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(72)**»[3] تتحدث هذه الآية عن سارة زوجة إبراهيم عليه السّلام عندما أخبرها الملائكة بأنّها ستلد بعد أن كانت قد تقدمت في السّن، وأصبحت عجوزًا، وكان زوجها إبراهيم عليه السلام قد بلغ من الكبر عتيًا، لكن هذا الإستغراب لا يعني الشك في قدرة الله بل هو تعبير عن الدّهشة أمام قدرة الله المطلقة في خرق المألوف، وخلق المعجزات.

([1]) سورة "**ق**"، الآية: 02.

([2]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي بن محمد السلامة، دار الطيبة للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1999، ج7، ص: 395.

([3]) سورة "**هود**"، الآية: 72.

كما وردت بصيغة "عجبا" في عدّة مواضع من القرآن الكريم، في سورة "الكهف" قوله تعالى: «**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا(9)**»[1].

هذه الآية تأتي في سياق قصة أصحاب الكهف، وتشير الآية هنا إلى نوم هؤلاء الفتيان في الكهف لسنوات طويلة دون أن يؤثر عليهم الزّمن، وهذا يعدّ من الأمور العجيبة التي تثبت قدرة الله وعظمته.

وبنفس صيغة "عجبا" نجدها في سورة "الجن" لقوله تعالى: «**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1)**».[2] في هذه الآية، يخبر النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم أنّه وحي إليه بأنّ مجموعة من الجن قد إستمعت إلى القرآن الكريم، فتعجبوا من جماله و تأثيره.

وجاءت بصيغة "عجاب" في سورة "ص"، إذ قال تعالى: «**وعجبوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكافرون هذا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الآلهة إلها وَاحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجَابٌ(5)**»[3]، في هذه الآية يتعجب المشركون من دعوة النّبي صلّى الله عليه وسلّم إلى توحيد الله وعبادته وحده، فإعتبروا أنّ هذا الأمر غريب وغير معقول بالنسبة لهم، لأنّهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة.

وجاء تفسير هذه الآية عند "ابن كثير" في قوله: "**يقول الله تعالى مخبرا عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول البشر**".[4]

إذا حملت كل هذه الآيات طابع الدّهشة والحيرة والتّعجّب على الرّغم من تنوع مواضعها.

([1]) سورة "**الكهف**"، الآية: 09.

([2]) سورة "**الجن**"، الآية: 01.

([3]) سورة "**ص**"، الآية: 05.

([4]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص:53.

2- لغة (في المعاجم العربية):

لقد تناولت المعاجم العربية لفظ "العجيب" في سياقات متعددة، حيث ورد في معجم "لسان العرب" "لابن منظور" في مادة " ع.ج.ب": "**العَجْبُ وَالعَجَبُ: إِنْكَارُ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ نِفلَّةِ إِعْتِيَادِه، وَجَمْعُ العَجَبِ، إِعْجَابًا**".[1]

وورد في "المعجم الوسيط" "**عَجِبَ منه عَجَبًا، وعَجْبًا، وعُجْبًا أَنْكَرَهُ لِقِلّةِ إِعْتِيَادِهِ إِيَاهُ**"[2].

وورد أيضا في "قاموس المحيط" بأنّ "**العَجَبُ: بالفَتْحِ: أَصْلُ الذَّنْبِ، مُؤَخِرَةَ كُلِ شيْءٍ، وَقَبِيلَهُ: بِالضَّمِّ: الزَّهْوُ وَ الكِبَرُ... وَ إِنْكَارُ مَايَرِدُ عَلَيْكَ، كَالعَجَبِ، مُحَرِكَةً، وَجَمْعُهَا أَعْجَابٌ، وَجَمْعُ عَجِيبٌ عَجَائِبٌ**".[3]

من خلال هذه التّعريفات المذكورة يمكن القول أنّ مفهوم العجائبيّة في اللّغة يشير إلى شيء غير مألوف أو غريب يثير الدّهشة والتعجّب ويأتي من الجذر العربي "عجب" الذي يعني الإستغراب أو التّعجّب من أمر خارق للعادة، كما يمكن أن يرتبط هذا المفهوم بالأشياء التي تحتوي على خصائص غريبة، وغير متوقعة وتعني كذلك الإنكار، أي إنكار كل ما هو جديد نتيجة لقلة التّعود عليه.

أمّا "معجم العين" "للخليل بن أحمد الفراهيدي" فهو "**عَجِبَ عَجْبًا، وَأَمْرٌ عَجِيبٌ عَجُبُ عُجَابٌ**، قال الخليل: **بينها فرق، أمّا العَجِيبُ فَالْعَجَبُ وَأَمَا العُجَابُ فَالْذِي تَجَاوَزَ حدُّ العَجَبِ**.

([1]) ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1994 م، مج: الأول، مادة (ع.ج.ب)، ص580.

([2]) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، (د.ط)، (د.ت)، ج:1، ص584.

([3]) (الفيروز أبادي)، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1999م، مادة (ع.ج.ب)، ص104.

وتقول: هَذَا العَجَبُ العَاجِبُ أي: العَجِيبُ وَالإِسْتِغْرَابُ شِدَّةَ التَعَجُّبِ وَهُوَ مُسْتَعْجِبٌ ومُتَعَجِبٌ مِمَّا يَرَى".[1]

ويشار إلى العجب في هذا السّياق على أنّه الشّعور بالدّهشة أو الإستغراب بسبب أمر غير معتاد أو غير متوقع.

وصفوة القول فإنّ المعنى اللّغوي للفظة "العجيب" في القرآن الكريم، يرتبط بالدّهشة والإستغراب، وفي المعاجم تدل على الإنكار والدّهشة والحيرة عند رؤية شيء غير مألوف، ممّا يؤدي إلى شعور الإنسان بالدّهشة والتردد.

3- إصطلاحًا:

تناول العديد من النّقاد الغرب والعرب، مصطلح العجائبيّة، حيث فسره كل منهم وفقا لوجهة نظره الخاصة:

أسهم هذا التباين في التّفسير في تنوع المفاهيم المرتبطة بهذا المصطلح نظرا لأنّ فكرة العجائبيّة بطبيعتها لا تقبل تعريفا نهائيا.

أ- العجائبيّة عند الغرب:

تناول العديد من المفكرين الغربيين العجائبيّة، ومن بينهم "تودوروف" الذي تناول هذا الموضوع في كتابه "مدخل إلى الأدب العجائبي" حيث عرفه بطريقة مميزة في قوله: "فالعجائبيّ هو التّردد الذي يحسه كائن يعرف قوانين الطّبيعة فيها يواجه حدثا فوق الطّبيعي حسب الظّاهر".[2]

([1]) أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، لبنان، بيروت، ط1، 1988، ج1، (مادة ع.ج.ب)، ص235.

([2]) تودوروف تزيفطان، **مدخل إلى الأدب العجائبي**، تر: الصديق بوعلام، مراجعة، محمد براءة، دار الشرقيات للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1994، ص44.

فالعجائبيُّ حسب تعريفه هو حالة من التّردد، والإرتباط يعيشها الفرد عندما يواجه ظاهرة أو حدثا يبدو أنّه يتجاوز قوانين الطّبيعة التي يعرفها.

في حين يرى "أرسطو" في كتابه "الخطابة": "أنّ العجيبات إنّما تكمن في البعيدات وما يحدث العجيب يحدث اللذّة"[1]، يشير "أرسطو" إلى أنّ العجائب أو الأحداث التي تثير الدّهشة تنبع غالبا من الأشياء أو الظّواهر البعيدة عن المألوف أي تلك التي تتجاوز التّوقعات، ويرى أنّ هذه العجائب على الرغم من أنّها قد تكون غريبة أو غير مفهومة تثير شعور باللّذة عند الإنسان، السبب في ذلك هو أنّ الإنسان بطبيعته يميل إلى الفضول، وحبّ الإكتشاف ومن ثمّة عندما يواجه شيئا عجيبًا تنشط حواسه، وتثار دهشته ممّا يمنحه إحساسًا بالمتعة الفكريّة والعاطفيّة.

أمّا "روجيه كايوا" في كتابه "قلب عجائبي" فيقول: "إنّما العجائبي كلّه قطيعة أو تصدع للنّظام المعترف به وإقتحام اللاّمعقول لصميم الشّريعة اليومية التي لا تتبدل" يوضح هذا القول طبيعة العجائبي بإعتباره إختراقا أو إنقطاعا للنّظام المألوف الذي يحكم حياتنا اليومية، أي يمثل تصدعا في القوانين التي تعطي حياتنا إستقرارها، وهذا التصدع يكون نتيجة ظهور شيء غير منطقي لا يمكن تفسيره بالعقل أو بالقوانين التي نعترف بها.

وعليه فالعجائبيّة في الثقافة الغربية تتمثل في إختراق كل الظّواهر اللاّمعقولة للحياة المعقولة، وهذا ما يجعل الإنسان يصاب بالدّهشة والحيرة أمام ما يبدو غير قابل للتفسير.

ب- العجائبيّة عند العرب:

عرف العرب العجائبية مثل غيرهم من الشّعوب حيث قدّموا تعريفاتهم لها، وكان لكل ناقد رؤيته وتعريفه الخاص.

([1]) أرسطو، **الخطابة**، للترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979، ص186.

فنجد "سعيد يقطين" يرى أنّ العجائبي "يتحقق على قاعدة الحيرة أو التّردد المشترك بين الفاعل (الشّخصية) والقارئ حيال ما يتلقيانه، إذ عليهما أن يقررا ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك"[1]، ومن هنا يتّضح أنّ "يقطين" إعتبر العجائبي يعتمد على إثارة الحيرة أو التّردد لدا كل من الفاعل الشّخص الذي يعيش الحدث، أو يرويه القارئ أو المتّلقي، وهذا التّردد أو الحيرة يمثل جوهر العجيب لأنّه يربك الفهم الطّبيعي للواقع، ويضعه في مواجهة مع أمور غير مألوفة أو غير قابلة للتّفسير بسهولة.

في حين يعرف "سعيد علوش" العجائبي على أنّه "شكل من أشكال القصّ تعترض فيه الشّخصيات بقوانين جديدة، تعارض قوانين الواقع التّجريبي، وتقرر الشّخصيات في هذا (النّوع العجائبي)، ببقاء قوانين الواقع كما هي"[2] فالعجائبي عنده هو نوع من الأدب القصصي يتميز بوجود

عناصر غير مألوفة أو خارقة للطبيعة، لكن الشّخصيات لا تستنكرها أو تتعامل معها كأمور مستحيلة، بل تقبلها كجزء من عالمها دون أن تغير في قوانين الواقع الطّبيعي.

أمّا "شعيب حليفي" فيرى أنّ العجائبي شكل تعبيري "يستقطب كل ما يثير الإندهاش والحيرة في المألوف واللامألوف".[3]

أي أنّ العجائب تعتمد على اللّغة لكسر القواعد العادية وإبداع عالم غير واقعي حيث تحدث أشياء غريبة وغير متوقعة في هذا العالم، إذ تتصادم الأحداث بشكل يجعل القارئ يشعر بالدّهشة والحيرة.

([1]) سعيد يقطين، **السرد العربي، مفاهيم وتجليات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص233.

([2]) سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص146.

([3]) شعيب حليفي، **هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل**، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص190.

ثانيًا: مفهوم أدب الرّحلة:

1- لغة:

يقول أصحاب "المعجم الوسيط" عن الرّحلة: "رَحَلَ عَنِ المكَانِ رَحْلاً وَ رَحِيلاً وَ تِرْحَالاً وَ رِحْلَةً سَارَ وَ مَضَى، وَ البعيرُ رَحْلاً وَ رِحْلَةً جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلُ فَهُوَ مَرْحُولٌ وَ رَحِيلٌ وَ عَلاَهُ وَ رَكِبَهُ وَ يُقالُ رَحَلَ فُلاَنٌ بِمَكْرُوهٍ، وَ رَحَّلَهُ بِسَبَبِهِ عَلاَهُ بِهِ وَ فِي الحَدِيثِ (التَكِفَّنَّ عَنْ شيْئِهِ أَوَ لأَرْحَلَنَّكَ بِسَيْفِي) وَ لَهُ نَفْسُهُ صَبْرُهُ عَلَى أَذاهِ... (الرَّحَالُ) صَانِعُ الرَّحْلِ، (الرِّحَالُ) العَرَبُ الرِحَالُ الذِينَ لاَ يَسْتَقِرُّونَ فِي مَكانٍ وَ يُحِلُّونَ بِمَاشِيَاتِهِمْ حَيْثُ يَسْقُطُ الغَيْثُ وَ يَنْبُتُ المرْعَى، (الرَّحَالَةُ) الكَثِيرُ الرِّحْلَةِ..."[1]

وفي "معجم مقاييس اللغة" "لابن فارس": "رحل: الراء والحاء واللام أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي سَفَر، يُقَالُ: رَحَلَ يَرْحَلُ رِحْلَةً(...)، وَالرِّحْلَةُ: الْإِرْتِحَالُ (...) وَ رَحَّلَهُ، إِذْ أَظْعَنَهُ مِنْ مَكَانِهِ"[2].

وعند "فيروز أبادي" في "القاموس المحيط": إِرْتَحَلَ الْبَعِيرُ: سَارَ وَمَضَى، وَالْقَوْمُ عَنِ الْمَكَانِ: اِنْتَقَلُوا، كَتَرَحَّلُوا. وَالْإِسْمُ: الرَّحَلَةُ وَالرُّحلَةُ بِالضم والكسر، أو بالكسر: الْإِرْتِحَالِ، وبالضم: الْوَجْهُ الَّذِي تَقْصِدُ، وَالسَّفْرَةُ الْوَاحِدَةُ."[3]

([1]) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، الطبعة الخامسة، ج1، ث334-335.

([2]) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، (د.ط)، (د.ت) عبد السلام محمد قارون، (مادة ج-ل)، دار الفكر، سوريا، (ط2)، 1979، (ج2)، ص497.

([3]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص1005.

ويقول "ابن منظور" في "لسان العرب" عن الرّحلة: الرِّحْلَةُ فِي اللُّغَةِ التَّرْحِيلُ وَالْإِرْتِحَالُ بِمَعْنَى الْإِشْخَاصُ وَالْإِزْعَاجُ، يُقَالُ رَحَلَ الرَّجُلُ إِذَا سَارَ".[1]

السير والتّنقل في الأرض، كما تأتي بمعنى الإرتحال أي الإنتقال من مكان لآخر.

وجاءت أيضا الرّحلة بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان "الرّحلة الإرتحال والرحُّلة بالضم الوجه الذي تأخذه فيه وتريده، تقول أنتم رُحلتي أي الذين أرتحل إليهم"، كما يطلق عليها "الرّحلة السّفرة الواحدة".[2]

تبين ممّا سبق ذكره أنّ الرّحلة تحمل معاني متعددة فهي تدل على السّير والإنتقال من مكان إلى آخر، كما تشير إلى الوجهة أو المقصد الذي يراد السّفر إليه، إضافة إلى إقتراب المكان المنشود أو قرب وقت الرّحيل، و بسبب هذه الدلالات المتنوعة أطلق لفظ "رِحلة" على من ينتقل من مكان إلى آخر، ومنه جاء مصطلح "رَحال" الذي يستخدم لوصف الشّخص كثير التّرحال والتّنقل.

2- إصطلاحا:

يعد أدب الرّحلة فن أدبي يُعنى بتسجيل مشاهدات وإنطباعات صادرة عن المؤلف النّاتجة عن رحلاته إلى مختلف البلدان بغض النّظر عن الأهداف والأسباب التي دفعت إلى القيام بتلك الرّحلات، وتكاد المفاهيم التي وجدت في المعاجم، والتي طرحها النّقاد والباحثين تكرر المعاني نفسها فنجد:

يقول "مجدي وهبة" و"كامل مهندس "في كتابهما: "إنّ أدب الرّحلات مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول إنطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من

([1]) ابن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب، مادة (ر.ح.ل)**، ص1608.

([2]) أحمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1398 هـ، ج1، ص264.

عادات، وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطّبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرّحلة مرّحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".[1]

إنّ أدب الرّحلات هو نوع من الكتابة الأدبيّة التي يجمع فيها الكاتب بين السّرد والوصف والتّأمل، حيث ينقل للقارئ إنطباعاته وتجربته خلال تنقله في بلدان مختلفة، وقد أشار "مجدي وهبة " و"كامل مهندس" إلى ذلك أنّ هذا الأدب يتناول ما يراه الكاتب من عادات الشّعوب وسلوكهم وأخلاقهم، كما يشمل وصفا دقيقا للطّبيعة والمناظر التي يمرُّ بها، وأحيانا يسرد الكاتب مراحل رحلته خطوة بخطوة، أو يدمج بين السّرد والوصف والتّحليل في عمل واحد، ممّا يجعل من أدب الرّحلات مصدرًا غنيًا للمعرفة الثقافيّة والإنسانيّة، ووسيلة لفهم العالم من خلال عين الكاتب.

أمّا " ناصر الموافي " فيعرف أدب الرّحلة "على أنّه ذلك النّثر الذي يصف الرّحلة أو رحلاته الواقعية التي قام بها رّحالة متميز، موازنًا بين الذّات والموضوع من خلال المضمون والشّكل المرنين بهدف التواصل مع القارئ والتّأثير فيه".[2]

وعرَّفت الموسوعة العربية العالمية: "بأن أدب الرّحلة هو الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد".[3]

ويعرفه " عبد الباسط " بقوله: "ذلك التأليف النّثري المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة يتجشم مشاقها، ومر خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالا وأودية وصحاري، وواجه أحداثا، ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته".[4]

([1]) مجدي وهبة وآخر، **معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص16.

([2]) نصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن 24**، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، ص39.

([3]) الموسوعة العربية العالمية، **مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع**، الرياض، 1996، ج11، ص136.

([4]) مجلة الأدب الإسلامي، العدد الثالث، بيت فلسطين للشعر، ربيع الأول 2415 هـ، ص12.

ومنه فإنّ أدب الرّحلة كتابة يحكي فيها الرّحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بإنطباعاته الذّاتية حول المرتحل إليهم وإنجاز الرّحلة –كتابتها– تتطلب أن يكون الرّحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة".[1]

ومنه أدب الرّحلة هو نوع من أنواع الأدب يسجل فيه الكاتب مشاهداته وإنطباعاته أثناء تنقله من مكان إلى آخر، بأسلوب يجمع بين السّرد الأدبي والتّوثيق الجغرافي، والثّقافي، والإجتماعي، ويهدف هذا النّوع من الأدب إلى نقل تجارب السّفر، وإستكشاف المجتمعات والعادات والتّقاليد المختلفة، مع توظيف اللّغة لتصوير الأمكنة والأحداث بطريقة مشوقة ومؤثرة.

بإختصار أدب الرّحلة إصطلاحًا هو سرد أدبي يعكس تجربة السّفر ويصف العالم من خلال نظرة ذاتية للرّحالة، تمتزج فيه المعرفة بالمشاعر والأسلوب الأدبي.

3– أنواع الرّحلات:

عرفت أنواع كثيرة للرّحلات فاختلف الدّارسون في تصنيفها أو حصرها، فيقول "صلاح الشامي ": أن الرّحلة إعتبارًا من القرن السّادس الهجري (العاشر ميلادي) إنطلقت إلى أوسع مدى، وتجاوزت ديار المسلمين على أمل أن تحقق أهداف متنوعة، إقتصادية وهي تعمل لحساب التّجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحجّ، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدّول الإسلامية ومجتمع الدّول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة".[2]

([1]) جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، إشراف أحمد بن لحظر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، 2015، ص08.

([2]) صلاح الدين علي الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميداني**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989، ص114.

ومنه يمكن إدراجها تحت عنوان واحد شامل كالرّحلات الرّسمية التي تضم السّياسة والسّفارية ويمكن التّركيز على أكثر الأنواع شيوعًا كالرّحلات العلمية والدّينية، والرّسمية والتّجارية.[1]

أ/ الرّحلات الدّينيّة:

هي تلك التي يقوم بها المسلمون لأداء فريضة الحجّ، وزيارة قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بهدف التّقرب إلى الله والتّطهر من الذنوب، والإبتعاد عن ملذّات الدّنيا وشهواتها. وتعدّ هذه الرّحلات فرصة لتعزيز الإيمان وتقوية الروحانية، ممّا يجعلها دافعا أساسيًا لدى المسلمين للسفر طلبًا للبركة والمغفرة، من دوافعها:

1- أداء الفرائض و العبادات: مثل الحجّ والعمرة، وزيارة الأماكن المقدّسة لأداء الشّعائر الدّينية.

2- الإقتداء بالسّلف الصالح: حيث يتبع البعض خطى الأنبياء والصّالحين ويزورون الأماكن التي شهدت أحداثا دينية هامة.

3- السّفر من أجل الجهاد والرباط في سبيل الله.

4- نشر الدّعوة إلى مختلف أنحاء العالم.

ب/ الرّحلات العلميّة:

وهي السّعي لطلب العلم من مصادره الأصلية، والتّعلم على أيدي الشّيوخ والعلماء الكبار لإكتساب المعرفة وتوسيع المدارك من دوافعها:

التّعمق في علم مناطق أخرى من العالم، حيث ذاع صيت علماؤها في مختلف المجالات مثل الفقه والطّب والهندسة وغيرها.

([1]) محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، تح: محمد الفاسي المركز الجامعي لمبحث العلمي، المغرب، (د.ت)، (د.ط)، المقدمة، ص ت.

ومن ذلك أيضا رحلات البحث العلمي والإستكشافات الجغرافية، فنجد في مقدمة "ابن خلدون" الشّهيرة إذ يقول: "والرّحلة لابد منها لطلب العلم ولإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ وأخذ العلم منهم".[1]

ج/ الرّحلات التّجاريّة:

أدت دورا هامًا في تنشيط الإقتصاد والتّبادل الثّقافي بين الشّعوب، فالتّجار كانوا يسافرون براً وبحرًا بحثًا عن الرّبح وتأمين سبل العيش، وكانوا يختارون مواقع إستراتيجية تزدهر فيها التّجارة. وعند عودتهم إلى أوطانهم كانوا ينقلون القصص والتّجارب بأسلوب ممتع، ممّا ساهم في تبادل المعرفة ونقل العادات والتّقاليد بين المجتمعات المختلفة.

د/ الرّحلات الرّسميّة:

تتمثل في إرسال الرّحالة إلى الدول المجاورة التي تربطها علاقات متينة مع بلدهم وذلك لتحقيق هدف معين مثل تعزيز العلاقات، أو توسيع نطاق التّعاون التّجاري والسّياسي، وغالبا ما تكون هذه الرّحلات مدعومة من قبل الحكام لتحقيق مصالح مشتركة من أجل تفقد أمر الرّعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التّجسس والإطلاع".[2]

وعند عودة الرّحالة يكتبون كيف سارت هذه الرّحلة وما حملته من مغامرات وكيف أنجزت هذه المهمة، كما يمكن أن يكون الهدف منها الإصلاح أو الصلح بين مختلف الدول، وتوطيد العلاقات ولتبادل الآراء.

([1]) ابن خلدون عبد الرحمان، **خزانة إبن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب**، تح: عبد السلام الشدادي، ط1 ، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص226.

([2]) سميرة أنساعد، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، دراسة في النشأة و التطور و البنية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف الشريف مريبحي، جامعة الجزائر، 2006، 2007، ص20.

4- الرّحلة في الأدب الجزائريّ :

كانت الجزائر إحدى المحطات البارزة والمهمة في أدب الرّحلات، وقد ساهمت بشكل كبير في إثراء هذا اللّون الأدبي الرّفيع الذي يتّسم بالمغامرة والمجازفة. وقد جاءت بعض الرّحلات التي قام بها الجزائريون استجابةً لنداء الحجّ، فيما كانت رحلات أخرى بدافع طلب العلم، "فأسهموا مساهمة واضحة في كتابة الرّحلات ولا سيما خلال القرن **18م (12هـ)** "[1].

ومن اللاّفت أنّ الجزائريين لم يولوا اهتمامًا كبيرًا بفن الرّحلة خلال الفترة السابقة للعهد العثماني، غير أنّ هناك إشارات مهمة لا يمكن إغفالها. فقد ذكر "أحمد بن محمد المقّري" في كتابه "نفح الطيب" أنّ جدّه "محمد بن محمد أبو عبد الله المقّري التّلمساني" ألف رحلة مشرقية بعنوان "**رحلة المتبتّل**"، وهي رحلة ذات طابع ديني وعلمي.

ومن بين مصادر أدب الرّحلة أيضًا، نجد رحلة "لابن قنفذ القسنطيني" المعروف "بابن الخطيب، وهي إختصار لرحلة العبدري الشّهيرة بالرّحلة المغربية، وتحمل عنوان "**المسافة السّنية في الرّحلة العبدريّة**" أو "**المسافة السّنية في إختصار الرّحلة العبدريّة**"، إلا أنّ هذه الرّحلة تعد من النّصوص المفقودة.

غير أنّ لنا في مؤلفات "ابن قنفذ" ما يعوض ذلك، ومن بينها رحلته المعنونة ب " **أنس الفقير وعزّ الحقير** " والتي أشار فيها إلى رحلته لمدينة تلمسان، حيث تلقى العلوم من شيوخها في التّفسير والحديث والنّحو والأدب، كما التقى بعدد من المتصوفة وزار أضرحة الصّالحين. وقد أقام بالمغرب الأقصى قرابة 18عامًا، من 759هـ إلى 776هـ.

ومن هذا كلّه يمكن القول إنّ الرّحلات الجزائرية التي ظهرت قبل العهد العثماني كانت محدودة من حيث العدد، إلا أنّها تبقى ذات قيمة أدبيّة و تاريخيّة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها.

[1] أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ج2، ص395.

ومن أبرز الرّحالة الجزائريين الذين كانت رحلاتهم موجهة نحو المغرب العربي، يبرز اسم " عبد الرزاق بن حمادوش"، الذي عاش خلال القرن الثاني عشر هجري (12هـ). وقد كانت رحلته ذات طابع علمي وتجاري، إذ تنقل خلالها من مدينة الجزائر إلى عدد من مدن المغرب الأقصى، شملت تطوان ومكناس وفاس " وقد وصف ابن حمادوش الحياة العلميّة وجوانب من الحياة السياسيّة والاقتصاديّة في المغرب الذي زاره مرتين على الأقل، وسجّل ملاحظاته وأحكامه في مذكراته التي تعرف أيضا برحلة "**لسان المقال** "[1].

كانت إسهامات الجزائريين في أدب الرّحلة جليّة ولا يستهان بها، خاصة خلال القرن الثّاني عشر هجري (12هـ)، حيث أنتجوا نصوصًا غنيّة ومتنوعة في هذا المجال. وقد تميزت هذه الرّحلات بطابعها العلمي في الغالب، إذ كان الهدف الأساسيّ منها هو طلب العلم، والتّواصل مع العلماء، والجلوس في حلقاتهم للاستفادة من معارفهم. كما برز نوع آخر من الرّحلات، وهي الرّحلات الرّسميّة التي كانت تنجز برفقة أمير أو سلطان، أو بتكليف من جهة مسؤولة.

وقد أولى الرّحالة الجزائريون اهتمامًا خاصًا بالرّحلة الحجازيّة، فألفوا حولها نصوصًا سرديّة وقصائد شعريّة، عبّروا من خلالها عن مشاق الطّريق منذ مغادرتهم أرض الوطن إلى غاية وصولهم إلى البقاع المقدّسة. ويعود هذا الاهتمام إلى المكانة الرّوحيّة الكبرى للحجّ، باعتباره من أعظم دوافع الرّحلة، سواء لأداء الفريضة أو لزيارة قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

يتضح من خلال هذا الفصل أنّ كلا من العجائبيّة وأدب الرّحلة يشكلان ركيزتين أساسيتين في فهم التّجربة السّرديّة العربيّة، لاسيما في السّياقات الثّقافية والدّينية التي تطبع أدبنا التّراثي. فالعجائبيّة لم تكن مجرد عنصر جمالي أو خيالي، بل آلية تعبيريّة ذات حمولة رمزيّة وروحيّة، تعبر عن تصور الإنسان للعالم، وتفتح أفقًا للتأمل في الممكن والغير الممكن، في الغيب والواقع. أمّا أدب الرّحلة، فقد شكّل

[1])أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ص 395.

مرآة تعكس تنوع التّجارب الإنسانية، ونقل التّفاعل الحضاري والدّيني بين الأقطار، وخصوصًا في الفضاء المغاربي الذي عرف حضورًا لافتًا للرّحالة الجزائريين.

إنّ الجمع بين المفهومين –العجائبيُّ وأدب الرّحلة– يعدّ مفتاحًا أعمق لذات الكاتب وبيئة النّص، ما يمهد لدراسة مركزة لتجليات هذه العناصر في النّصوص الرّحلية، وعلى رأسها نص "أنس الفقير وعز الحقير"، الذي سيشكل محور التّحليل في الفصول القادمة.

الفصل الثّاني:البناء الفنّي لرحلة "أنس الفقير وعز الحقير"

أولا: التّعريف بابن قنفذ القسنطيني

ثانيا: مضمون الرّحلة

ثالثا: قراءة في عنوان الرّحلة–التحليل السيميائي–

1- المستوى الدّلالي

2- المستوى التركيبي

3- المستوى الرّمزي

4- المستوى الثّقافي والتّاريخي

رابعا: بنية الرّحلة

خامسا:أسلوب الرّحلة

يعدّ النّص الرّحلي **"أنس الفقير وعزّ الحقير"** من النّماذج المميّزة في أدب الرّحلة العربي خلال القرن الثامن الهجري(8ه)، وقد كتبه العلامة الجزائري **ابن قنفذ القسنطيني** في سياق ديني وعلمي خاص، حيث دون فيه تفاصيل رحلته .

ويكتسب هذا النّص أهميته لا فقط من محتواه التّوثيقي، وإنّما من بنيته الفنّية التي تظهر جانبًا سرديًا غنيًا فيه حضور للذّات، وتنظيم محكم للأحداث، وأسلوب متنوع يجمع بينَ السّلاسة الأدبية والنّفس الصّوفي.

يهدف هذا الفصل إلى دراسة البناء الفني لهذه الرّحلة، من خلال توقف عند عدد من المحاور الأساسيّة، أولها تقديم تعريف **موجز بابن قنفذ**، باعتباره شخصيّة بارزة في السّياق الثّقافي المغاربي، ممّا يساعد على فهم خلفياته المعرفية والدّينية التي أثرت في نصّه الرّحلي. يلي ذلك عرضًا **لمضمون الرّحلة**، من حيث المراحل التي مرّ بها، والأماكن التي زارها، ممّا يمنح القارئ، تصورًا عامًا عن محتوى النّص قبل الخوض في تحليله الفنّي.

كما يخصص هذا الفصل وقفة تحليليّة مع **عنوان الرّحلة "أنس الفقير وعزّ الحقير"**، الذي يكتنز دلالات رمزية وذاتية تحتاج إلى قراءة تأويلية معمقة. ثمّ ينتقل التّحليل إلى تفكيك **بنية الرّحلة**، من حيث تسلسلها الزّمني والمكاني وتوزيع فصولها، وأنماط الخطاب التي تحتويها، وصولًا إلى تحليل **أسلوب الرّحلة**، الذي يتداخل فيه السّرد الذّاتي مع الوصف، والنّقل العلمي مع التّأملات الرّوحية.

أوّلا: التّعريف بابن قنفذ القسنطيني:

أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشّهير بإبن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني[1]، وقد عرّفه صاحب نيل الإبتهاج بقوله: "الإمام العلامة المتفنن الرُّحلة القاضي الفاضل المحدّث المبارك المصنّف"[2]

ولد سنة 741 هـ أي ما يوافق 1340 م بمدينة قسنطينة في وسط عائلة اشتهرت بالعلم والدّين، فقد عرف آل قنفذ القسنطينيون بأنّهم شعب علم وفقه وأدب وزهد وتصوف، توارثوا الخطابة في المسجد الجامع لعدّة أجيال متعاقبة[3]، إذ حظوا بمكانة مرموقة بين أهلها.

"تعددت مصادر **ابن قنفذ القسنطيني** خصوصًا وأنّه تلقى تعليمه على أيدي نخبة من كبار العلماء والفقهاء في عصره، وقد انعكس هذا التّنوع في ثقافته على مؤلفاته، حيث لم يقتصر على مجلد واحد، بل تناول في كتاباته مواضيع شتّى شملت التّراجم والسّير، الفقه وأصوله، الحديث وعلومه والأدب واللّغة بالإضافة إلى العلوم التّطبيقية مثل الطّب، الرّياضيات، الفلك والمنطق. هذه الموسوعية جعلته شخصيّة علميّة بارزة في عصره، إذ جمع بين العلوم الدّينيّة والدّنيويّة، ما ساهم في إثراء الفكر الإسلامي والعربي بمؤلفات قيّمة تعكس عمق معرفته، وسعة إطلاعه.

كان جدّه لأمّه من مشاهير الصّوفيّة والمربيين الرّوحيين، كما كان له أثر عميق على حفيده أبي العباس كما يظهر ذلك في **"أنس الفقير وعزّ الحقير"**، وأبوه كان أديبًا مرموقًا مع اتجاه صوفي كذلك، ممّا جعل ابن قنفذ ينشأ في وسط يسوده الاهتمام بالعلم والأدب والتّصوف.[4]

([1]) محمد قويسم الفقية، أحمد بن قنفذ بن الخطيب القسنطيني، **دوريات كان التاريخية**، البلد 1514، مارس 2012، ص91.

([2]) أحمد التنبكتي، **نيل الإجتهاد في تطريز الديباج**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ج1، ص75.

([3]) ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تح: عبد العزيز دخان، مكتبة الرشد، المكلة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2003، ص18.

([4]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط1، 1965، من المقدمة، ص (ت).

توفي ابن قنفذ سنة 810 هـ ما يوافق 1407 م، وترك لنا الكثير من المؤلفات والكتابات التي تحكي عن مغامراته وإكتشافاته.

– مؤلفاته وأعماله:

- شرف الطّالب في أسنى المطالب.
- الوفيات.
- طبقات علماء قسنطينة.
- تسهيل المطالب في تعديل الكواكب.
- حظ النّقاب عن وجوه أعمال الحساب.
- سراج الثّقافات في علم الأوقات.
- أرجوزه في الطّب.
- تحصيل المناقب وتكميل المآرب.
- علامة النّجاح في مبادئ الإصلاح.
- تلخيص المفتاح في البلاغة.
- شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض.
- أنس الفقير وعز الحقير.

ثانيا: مضمون الرّحلة :

من خلال دراستنا لرحلة "**ابن قنفذ القسنطيني**" التي دونها في كتابه المعروف المعنون بـ"**أنس الفقير و عزّ الحقير**"، حيث بدأ وجهته من مدينة قسنطينة متوجها إلى المغرب الأقصى، وكان هدفه من هذه الرّحلة البحث عن العلم، ولقاء العلماء، والأولياء الصّالحين وأصحاب الكرامات الذين اشتهروا في ذلك الوقت. إذ استمرت رحلته لمدة ثماني عشر سنة تنقل فيها بين المدن والقرى والتقى

بعدد كبير من الشّيوخ المغاربة، ومن أبرزهم الشّيخ أبو مدين شعيب، الذي تحدث عنه مطولاً وذكر سيرته منذ أن كان صغيراً إلى أن أصبح من كبار الشّيوخ، إلى أن آتته المنيّة في مدينة تلمسان- كما أشار إلى ما اشتهر به من كرامات وأحداث عجيبة ظهرت على يديه سواء رآها أو سمع بها عنه.

كما تحدث، أيضا، عن الشّيوخ الذين تعلم على أيديهم وأصحابهم وتلاميذهم، وذكر أيضًا الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم خلال رحلته واستفاد من علمهم، وما شاهده من عباداتهم ومجاهداتهم، وبعض الكرامات الغريبة التي حدثت معه أو معهم.

وتناول أيضًا موضوع الطّرق الصّوفيّة التي كان الشّيوخ ينتسبون إليها الطريقة المنسوبة إلى أبي شعيب أزمور، والصنهاجيون من أتباع بني أمغار، والمجريون نسبة إلى ابن زكريا الحاجي، والغماتيون أتباع أبي زيد عبد الرحمان الهزميري. وقد لاحظ نشاط هذه الطرق خاصة خلال اجتماع كبير انعقد في منطقة "دكّالة"، حظره عدد كبير من الشّيوخ والمريديين، وحتى بعض النّاس الذين كانوا يبحثون عن علاج لأمراضهم المستعصية.

كما ذكر في رحلته عددًا كبيرًا من الأضرحة والقبور التي زارها، وكان كلما مرّ على مقام ولي صالح يتوقف عنده ليدعو ويتبرك به.

إلى جانب ذلك وصف الطرق التي سلكها والأماكن التي مر بها مثل: وصفه لجبل درن، حيث قال: أنّه جبل عظيم لا يوجد له مثيل على الأرض من حيث الإرتفاع والماء والخصوبة، واعتبره من عجائب الدنيا.

كما تحدث، أيضًا، عن الشّيوخ الذين إلتقاهم، فوصف لباسهم، وأطعمتهم ومجالسهم ومساكنهم، وكل ذلك اعتمد فيه على ما رآه بعينه وما سمعه من خلال اتصاله المباشر بالعلماء وأهل الصّلاح.

ثالثا: قراءة في عنوان الرّحلة "أنس الفقير وعز الحقير":

يعدّ العنوان عتبة أساسيّة في أي عمل أدبي أو فكري، فهو أول ما يواجه القارئ ويشكل مفتاحًا دلاليًا للولوج إلى عالم النّص وعنوان كتاب "**أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ القسنطيني** ليس مجرد تركيب لغوي بل هو نص موازي يحمل حمولة رمزيّة وسيميائيّة كبيرة، تنسجم تماما مع الخلفيّة الصوفيّة التي ينتمي إليها المؤلف، وقبل أن نلج في تحليلنا لعنوان الرّحلة لابد أن نتطرق إلى مفهوم سيميائية العنوان:

1- العنوان:

أ- لغة:

ورد في "لسان العرب" "لابن منظور": في باب العين و في مادة (ع.ن.ن): "وَرَدَ عَنيْتٌ وَأَعْنَنْتُهُ لِكَذَا أَيْ عَرَضْتُهُ لَهُ وَصَرَفْتُهُ إِلَيْهِ وَعَنِ الكِتَابِ يُعِينّه عَنَا وَعَنّنَهُ: كَعَنْوَنَهُ وعَنْوَنْتُهُ وَعَلْوَنْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدْ."[1]

ويقول "ابن فارس "في معجمه "مقاييس اللغة "عن الجذر "عنا":"العَيْنُ والنُّونُ أَصْلاَنِ أَحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى ظُهُورِ الشَّيءِ وَإِعْراضِهِ وَالآخَرُ يَدُلُّ على الحَبْسِ."[2]

كما نجده مرة أخرى في "لسان العرب" "لابن منظور":"العُنْوانُ، والعِنْوانُ، وَالعُنْيانُ، وَالعِنْيانُ وَالعُلْوانُ لُغَةً غَيْرُ جَيِّدَةٍ مِنَ الكِتابِ، وَمِن كُلِّ شَيءٍ، وَكُلُّ ما اسْتُدِلَّ بِهِ على سَائِرِهِ وَالأَثَرُ وَأَصْلُهُ عِنَانٌ، عَنِ الكِتابِ عَنْوَنَهُ". [3]

([1]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ع.ن)، ج" 10، ص312.

([2]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، ج: 4، ص19.

([3]) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء 10، ص315،316

"فهو شبه بعتبة المنزل التي تربط الداخل بالخارج، وما توطأ عند الدخول".[1]

ومنه نستخلص من هذه التعريفات دلالات متعددة تتمثل في: "العَلاَنِيَةِ" التي تعبر عن الظّهور والإنكشاف، وهي مشتقة من الجذر "عَ لَ نَ"، أما "الأثر والسّمة" فهما مرتبطان بالجذر "عَنَا"، الذي يَدُلُّ على العلامة أو الأثر الظاهر. بينما "المعنى و القصد" يرجعان إلى الجذر "عَنّنَ"، الذي يعبر عن التّوجه والقصد نحو شيء يعينه.

ب- اصطلاحًا:

يعدّ العنوان في الدّراسات الأدبية الحديثة عنصرًا نصيًا بالغ الأهمية، إذ لم يعد ينظر إليه كمجرد تسمية أو ملصق خارجي للنص، بل ك"نص موازٍ" أو عتبة التي تفتح أمام القارئ أفقًا تأويليًا يمهده لفهم المضامين الأساسية، فهو النّافذة الأولى التي يطل منها القارئ على النّص بما يحمله من شحنات أدبية وإيحاءات رمزية تضبط أفق التّوقع وتوجه القراء نحو المسار الصّحيح، وفي هذا السياق، يعرّف العنوان اصطلاحًا بأنّه: "مقطع لغوي، أقل من الجملة نصًا أو عملاً فنيًا".[2]

"العنوان للكتاب كالإسم للشيء به يعرف، ويفضله بتداول أو يشار إليه ويدل عليه"[3]، ومنه فالعنوان هو العلامة أو الدّليل الأول الذي يلفت الإنتباه للكتاب ويجعل الناس يعرفونه، ويتحدثون عنه بسهولة. كما أنه لا يكتفي بالتعريف بالكتاب فحسب، بل يحمل أيضا دلالة على مضمونه وروحه، فيمنح القارئ فكرة أولية عما ينتظره بين الصفحات ولذلك، فإن اختيار العنوان يُعدُّ خطوة حاسمة، لأنّه البوابة الأولى التي يطرقها القارئ قبل أن يغوص في عمق النّص.

([1]) عبد الرحمان تيبرماسين، (**فضاء النص الشعري**)، محاضرات الملتقى الوطني الأول، السيمياء و النص الأدبي، 7-8 نوفمبر 2000، منشورات جامعة بسكرة، ص182.

([2]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ع.ن)، ج10، ص312.

([3]) محمد فكري الجزار، **العنوان و السيموطيقيا للإتصال الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص15.

كما أنّ العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيمًا أخلاقية واجتماعية وإيديولوجية، وهي رسالة مضمنة بعلامات دالة مشبعة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي".[1]

إذن فالعناوين ليس مجرد مفردات ظاهرية، بل علامات مشحونة برؤية مؤلفها للعالم، تعبر عنها بأسلوب إيحائي، يتجاوز البنية اللغوية المباشرة إلى فضاءات من المعاني المتعددة والمحمّلة بالإيحاء والدّلالة.

أمّا الدّكتور "محمد التوبحي"، فيشترط في العنوان مجموعة من الأمور منها "أن يعبر عن مضمون النّص، وأن يجذب انتباه القارئ، ودالاً على جنسه الأدبي فيقول في تعريفه للعنوان: "اسم يدل على العمل الأدبي الذي يكتبه الكاتب ويشترط أن يكون الإسم معبرًا عن المضمون جاذبًا للإنتباه".[2]

ومن ثمّ، يُعدُّ العنوان علامة سيميائية إيحائية بالغة الأهمية، إذ يسهم في كشف ملامح مضمون النّص، ويوجه القارئ إلى استيعاب دلالاته الأساسية.

وسنقدم قراءة سيميائية لعنوان الرّحلة التي نحن بصدد دراستها "**أنس الفقير وعزّ الحقير**" وذلك بالتركيز على المعاني اللغوية المباشرة (الظاهرة)، وغير المباشرة (الخفية) للكلمات.

2- التّحليل السّيميائي لعنوان الرّحلة:

أ- المستوى الدّلالي (المعجمي):

يعدّ المستوى الدّلالي من بين أهم المستويات التحليلية في دراسة العنوان، إذ يهتم بالكشف عن المعاني التي تحملها الألفاظ والتراكيب، سواء على مستوى المعنى الظاهري المباشر أو على مستوى الإيحاءات والدّلالات العميقة التي تتجاوز الحقل اللغوي إلى البعد الرّمزي والثّقافي. في هذا السياق لا

([1]) فيصل الأحمر، **معجم السيميائيات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، (د.ت)، ص226.

([2]) محمد التوبحي، **المعجم المفصل**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ج2، ص273.

يقتصر التّحليل الدّلالي على تتبع معاني الكلمات في معاجم اللّغة، بل يمتد إلى فهم السياق والمرجعيات الثّقافية والإجتماعية التي تحيل عليها تلك الألفاظ.

إنّ "الدّارس السّيميائي عليه أن يصنف مجموع الكلمات في المتن، أو المتون الشعرية التي يصنفها إلى حقول دلالية خاصة بالمعنى الذي يجمع كل مجموعة لتسهيل المقاربة النقدية و التقريب من مفاتيح التّأويل".[1]

ومنه فالنّاقد السّيميائي الذي يدرس العلامات والدّلالات في النّصوص يجب عليه أن يقسم الكلمات الموجودة في النّصوص الشّعرية والأدبية إلى مجموعات، وكل مجموعة تكون مرتبطة بمعنى مشترك أو دلالة معينة هذه المجموعات تعرف بالحقول الدّلالية. وهذا لتسهيل عملية التّحليل والنّقد، ويقترب أكثر من فهم معاني النّص وتأويله أي تفسيره على مستويات أعمق بهذا التصنيف، يستطيع النّاقد أن يلاحظ كيف يستخدم المبدع هذه الحقول ليعبر عن مشاعره أو أفكاره ممّا يساعد في تفسير النّص بشكل أعمق.

فهو يركز على المعاني اللغوية المباشرة (الظاهرة) وغير المباشرة (الخفية) للكلمات مثلما نجده في العنوان:

- "أنس": تدل على الطمأنينة والراحة النفسية، وهي حالة من السكينة.
- "الفقير": في المعنى الظّاهر هو يشير إلى الشّخص المحتاج ماديًا، لكنه في السياق الصّوفي يعني الإنسان الزّاهد الذي استغنى عن الدّنيا وتقرب إلى الله.
- "عز": في اللغة تعني القوة والكرامة والرّفعة والمكانة المرموقة، أمّا في البعد الروحي فتعني العزة التي قد تأتي بالقرب من الله، وليس من الجاه و المال.

([1]) ليلى شعبان شيخ محمد رضوان، سهام سلامة كباس، **المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي**، جامعة الإمام عبد الرحمان الفيصل، كلية الآداب بالتمام قسم اللغة العربية، المجلد 1 من العدد 33 لخونية كلية الدراسات الإسلامية و العربية، لبنان، بالإسكندرية، ص799.

- "الحقير": تحمل معنيين:

  - المعنى الظاهر: يقصد به الشّخص الذي لا قيمة له في نظر الجميع أي المجتمع سواء من حيث المكانة الإجتماعية أو المادية.
  - المعنى العميق: قد يكون الشخص المتواضع الذي لا يسعى للجاه والسّلطة، لكنّه عند الله له مكانة عظيمة.

ب- المستوى التركيبي:

يعدّ المستوى التركيبي للعنوان مدخلاً أساسيًا لتحليل بنية النّص الأدبي، إذ يكشف عن الأسلوب الذي صيغت به الكلمات والعلاقات التي تربط بينها، مثل التّوازي أو التّضاد أو الإضافة أو التّكرار، ممّا يضفي على العنوان طابعا دلاليًا وجماليًا خاصًا، فالتركيب اللغوي للعنوان لا يعبر عن مجرد تجمع عشوائي للكلمات، بل يعكس رؤية المؤلف وفلسفته في التّعبير عن الفكرة المحورية للنّص.

"يعدّ الحديث عن البنية التركيبية حديثًا عن النّحو، و بخاصة الجملة النّحوية وسياقاتها... التحليل التركيبي للعناوين يعتمد على تصنيف الجمل الإسمية، الفعلية، الشرطية والظرفية."[1]

فالمقصود من هذا القول أنّه عندما نتحدث عن "البنية التركيبية" لعنوان ما أو لأي نص، فإنّنا نتحدث في الأساليب عن النّحو، و بشكل أدق عن تركيب الجملة، أي كيف تتكون الجمل من كلمات وما نوعها، وما علاقتها بما حولها (سياقاتها) لأنّ معرفة نوع الجملة وتركيبها يساعد على فهم المعنى المقصود من العنوان أو النّص بشكل أعمق، ويظهر كيفية بناء الشاعر أو الكاتب للفكرة في عباراته وببساطة :

-الجملة الاسمية تركز وتدل على الثّبات أو الوصف.

-الجملة الفعلية تركز وتدل على الحركة أو الحدث.

([1]) المرجع نفسه، ص798.

-الجملة الشرطية تركز وتدل على علاقة سببية.

-الجملة الظرفية تحدد الزمان أو المكان.

كما تحلل هذه البنية كيفية تنظيم الكلمات في الجملة والعلاقات النّحوية فيما بينها، والبحث في الروابط النّحوية مثل العطف والإضافة والتّقديم والتّأخير.

أما في عنوان رحلة "**أنس الفقير وعز الحقير**" فنجد أنّه يتكون من :

1- البنية النّحوية للجملة:

يحلل كيفية تنظيم الكلمات في الجملة والعلاقات النّحوية فيما بينها، والبحث في الروابط النّحوية مثل العطف والإضافة، والتّقديم والتّأخير.

أما في عنوان الرحلة "**أنس الفقير وعز الحقير**" فنجد أنه يتكون من جملتين اسميتين معطوفتين كل واحدة تتبع نفس التركيب (أنس الفقير) (عزّ الحقير)، كل جملة تتكون من:

- مبتدأ: (أنس، عز).
- مضاف إليه: (الفقير، الحقير).

والجملتان مرتبطتان بحرف العطف (و)، ممّا يربط بين المفهومين، ويجعلهما متكاملين في المعنى.

2- العلاقة بين المفردات:

العنوان قائم على المفارقة والتضاد حيث أن "العزة" عادة ينسب إلى القوي وليس "الحقير"، و"الأنس" عادة لا يربط بالفقر بل بالغنى، هذه البنية التركيبية تعكس إعادة تعريف المفاهيم وفق منظور جديد، وهو منظور التّصوف الذي يرى العزّة في التّواضع والسّعادة في الزّهد.

ج- المستوى الرّمزي:

يبحث في المعاني العميقة والرّمزية للكلمات والمفاهيم، فكل كلمة قد تحمل دلالات رمزية تتجاوز المعنى الحرفي.

إنّ العنوان يحمل دلالات رمزية عميقة تتجاوز المعنى الظاهري للكلمات، فهو لا يعبر عن أوصاف مادية، بل يستخدم الرّمز والمجاز للتعبير عن مواقف روحية وفكرية ترتبط بالتّصوف.

1-الفقير والحقير كرمزين صوفيين:

الفقير في السياق الصوفي لا يعني فقط من لا يملك المال، بل يرمز إلى العبد المتجرد من التعلق بالدنيا، الذي لا يملك شيئا ولا يتعلق بشيء بل يفوض أمره لله.

الحقير لا يقصد به المهان، بل يرمز إلى العارف الذي يحتقر نفسه أمام عظمة الله، متواضع، متخلي عن الكبر متخلص من الأنا.

2-الأنس والعزّ كمجازات روحية:

"أنس الفقير" هو مجاز عن السّكينة التي يشعر بها من تخلى عن الدّنيا واتصل بالله، فهو إنس بالله لا بالنّاس و لا بالمظاهر.

"عز الحقير" هو إستعارة روحية، تعني أنّ من أذلّ نفسه لله رفعه، ومن احتقر ذاته في سبيل الحق أعزّ في نظر السّماء، لا في نظر المجتمع.كما يمكن إعتبار العنوان رسالة صوفية تدعو إلى تحقيق السّعادة و العزّة الحقيقية من خلال الزّهد و التّواضع، بدلاً من البحث عنهما في الجاه و المال.

د- المستوى الثقافي والتاريخي:

يدرس كيف تعكس الكلمات القيم والعادات السائدة في فترة معينة، ويربط المعاني بالمجتمع والتّاريخ الذي نشأ فيه النّص، كما يبحث في التأثيرات الدينية، الفلسفية والسياسية التي قد تكون أثرت في الكتاب.

العنوان يعكس ثقافة التصوف في العصر الذي عاش فيه **ابن قنفذ القسنطيني**، حيث كان للزهد والإبتعاد عن زخارف الدنيا مكانة مهمة في الفكر الديني والأدبي في عصر **ابن قنفذ**، حيث ينظر إلى العزّة والرّاحة النّفسية من منظور روحي وليس مادي، وهو بذلك يمثل جزءًا من الخطاب التصوفي الذي ساد في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع عشر ميلادي.

رابعا: بنية الرّحلة :

لكل خطاب أيًا كان نوعه له شكل وطريقة معينة في البناء، وتعدّ بنية السّفر في أدب الرّحلة العنصر البنائي المحوري الذي يشكل العمود الفقري للنّص الرّحلي."والبناء له صلة وطيدة بزمنية الخطاب، إنّ خطاب الرّحلة يتماشى مع الرّحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية، فهو يبتدئ بتحديد أسباب الرّحلة ودوافعها، و زمن الخروج ومكانه. وكلما انتقل الرّحالة من مكان واكب الخطاب هذه الإنتقالات والتّحولات وصولاً إلى النّهاية (نهاية الرّحلة) والرّجوع إلى نقطة البداية".[1]

وبناءًا على ذلك ستعنى هذه الدراسة بتسليط الضّوء على رحلة **ابن قنفذ** من خلال تتبع مراحلها المختلفة، واستقصاء الطرق التي سلكها.

([1]) يقطين سعيد، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص207.

1/ المقدمة:

وتحتوي على:

- الحمدلة والصلاة والسلام على نبي الله.

- الدافع وراء تأليف هذه الرّحلة هو رغبة بعض الإخوة من أهل الدين في أن يدوّن **ابن قنفذ** شيئًا من كلام الشيخ أبي مدين، لما في أقواله من منفعة وفائدة للمسلمين حيث قال: "رغب إلى من يتكرم عليّ من بعض إخواني في الدين في تقييد شيء من كلام الشيخ أبي مدين، نفعنا الله به وبأمثاله من المسلمين".[1]

- الهدف من الرّحلة: التّعريف بالشّيخ أبي مدين شعيب ومشايخه وتلاميذه، وأحوالهم وكراماتهم، ممّا يجعل الرّحلة ذات طابع صوفي وزياري بامتياز.

- تاريخ ومكان كتابة الرّحلة، ذكر **ابن قنفذ** أنّه كتب هذه الرّحلة في مدينة قسنطينة في شهر رمضان سنة 787 هـ.

- تسمية الرّحلة: "**أنس الفقير وعزّ الحقير**" وهو عنوان يعكس تواضع المؤلف ومقاصده الرّوحية.

وقبل أن يبدأ **ابن قنفذ** في ذكر تفاصيل سفره قام بتقديم تمهيدي تحدث فيه عن صفات الولي وكراماته، والفرق بين كرامات المسلمين وغيرهم، وعن مكانة الصالحين في الإسلام، واختتم المقدمة بوصية فيها بيتان شعريان قالهما بعض الصالحين.

([1]) ابن قنفذ القسنطيني، **رحلة أنس الفقير و عز الحقير**، ص30.

2/ السفر:

تعدّ رحلة "**أنس الفقير وعز الحقير**" من نوع الرَّحلات الزّيارية وهي التي يقصد صاحبها من سفره زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء أو ملاقاة الأحياء من الصالحين والمتعبدين".[1]

استهل **ابن قنفذ** رحلته بذكر مولى الشيخ أبي مدين شعيب وأصول عائلته، ثمَّ تناول بداية مسيرته العلمية مشيرًا إلى رحلته لمدينة فاس، حيث تلقى العلم على يد كبار مشايخ الصّوفية، مثل أبي يعزى وأبي عبد الله بن حرزهم، الذي زار قبره أثناء إقامته بالمغرب، وكانت أولى زياراته له في سنة 759 هـ، ثمّ أعقب ذلك بذكر أقوال الشيخ أبي مدين ووصاياه الأربع والأربعين، وانتقل بعدها إلى الحديث عن شيوخ أبي مدين وأصحابه، ومنهم أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي، كما أشار إلى لقائه بأحد أحفاد أبي يعزى وتبركه به في سنة 751 هـ ثمّ تناول في حديثه الشيخ أبا الحسن علي بن غالب، شيخ أبي مدين، واختتم هذا القسم بترجمة مختصرة للشيخ أبي عبد الله الدقاق.

ومن الشيوخ الذين ترجم لهم **ابن قنفذ** في رحلته وختم تعريفه بكل واحد منهم بأبيات شعرية، نجد: أبا زكريا يحيي الزواوي، وأبا علي يعزى، وأبا جعفر محمد الصنهاجي، وأبا عبد الله التاويدي، وأبا الحسن علي الصنهاجي، وأبا تميم الهزميري، وأبا الصبر أيوب السبتي، ويحيي بن صالح، وأبا محمد عبد الجليل الأنصاري، وأبا محمد عبد الحق الإشبيلي، وأبا محمد بن يناصرن الماجري، وحسن بن محمد الغافقي وأبا عبد الله محمد الأنصاري، وأبا علي عمر الصباغ، وأبا عمران موسى الحلاج، وأبا عبد الله محمد بن علي.

كما ذكر **ابن قنفذ** في رحلته العقبات السّبع وختمها ببيتين شعريين قبل أن يعود مرةً أخرى للتعريف ببعض المشايخ الآخرين، مثل أبي مسعود بن عريف، وأشار إلى زيارته لقبر أبي بكر بن العربي

([1]) ابن قنفذ، **أنس الفقير و عز الحقير**، ص1.

الواقع بين فاس القديمة و فاس الجديد، بالإضافة إلى زيارته لقبر الشيخ أبي شعيب أزمور المعروف بأيوب السارية في أزمور ببلاد المغرب.

بعدها انتقل **ابن قنفذ** إلى الحديث عن جدّه يوسف بن يعقوب البويوسفي، حيث قدم له ترجمة وافية، تضمنت الإشارة إلى تلاميذه و كر بيتًا شعريًا للإمام أبي القاسم، عمر بن علي السعدي المعروف بإبن الفارض، إلى جانب ذكر ثلاث رسائل إخوانية أرسلها لجده أثناء حياته.

وفي مدينة أسفي، التي زارها سنة 763 هـ، وقف عند قبر الشيخ أبي محمد صالح، حيث التقى ببعض أحفاده واطلع معهم على كتاب بعنوان "المقصد الأسفى في شرح الأسماء الحسنى".

ثمّ خصص جزءا من رحلته للحديث عن طوائف الصّوفية في المغرب وأوليائهم الصالحين، وفي سنة 768 هـ دخل مدينة تاشناشت قرب مراكش، حيث التقى بعدد من الأخيار، كما زار في أغمات قبر الشيخ أبي عبد الله بن تيجلات.

وعند وصوله إلى المغرب، اجتمع **ابن قنفذ** بعلمائه وأوليائه الصالحين، فترجم لهؤلاء المشايخ الذين التقاهم وجلس معهم، وقد خصص قسمًا من رحلته للحديث عن أداب الإخوان، التي ختمها ببيت شعري، ثمّ عاد إلى الحديث عن أصحاب الشيخ أبي مدين شعيب، معرفا لهم ومختتما كل ترجمة بأبيات شعرية تناسب المقام الصوفي، و منهم:

أبو محمد عبد الله الصنهاجي، وفاطمة الأندلسية، وأبو محمد عبد الله الصنهاجي وأبو محمد حمادو الصنهاجي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم، وأبو محمد عبد الخالق التونسي، وأبو الزهر الربيع الأنصاري.

بعد ذلك، أورد **ابن قنفذ** سند خرقته الصوفية، وختمه ببيتين شعريين ثمّ عاد مجددًا للحديث عن أصحاب أبي مدين، مثل الشيخ محمد عبد العزيز بن أبي بكر، حيث ختم ترجمته بأربعة أبيات

شعرية كتبها عبد العزيز في مدح شيخه أبي مدين، كما أورد فصولاً من رسالة إخوانية كتبها أبو مدين شعيب لعبد العزيز جوابا عن كتابه.

كما تناول **ابن قنفذ** الحديث عن وفاة الشيخ أبي مدين شعيب، وختم هذا الجزء بأربعة أبيات شعرية، مشيرًا إلى زيارته لقبره ووقوفه على تربته ثمّ ذكر أنّه في طريق عودته من المغرب إلى قسنطينة 776 هـ زار قبر أبي مدين مجددًا، ودعا له عند قبره بأن ييسر الله رحلته وخروجه من تلمسان، التي أقام بها شهرًا بسبب المجاعة العظيمة.

وفي نهاية هذا القسم، وصف قبر الشيخ أبي مدين، كما تحدث عن أبي الفضل ابن نحوي، مستشهدًا بثلاثة أبيات شعرية من قصيدته الجيمية الشّهيرة بالمنفرجة.

3/ الخاتمة:

ختم **ابن قنفذ** كتابه "**أنس الفقير و عز الحقير**" بجملة من الحكم والنّكت التي اعتبرها نافعة للفقر، ومعززة للضعفاء، ليعبر بذلك عن روح التّواضع والصّلاح التي طبعت نصّه الرّحلي، وينهي عمله بعبارات تحمل أبعادًا تربوية ودينية ذات طابع صوفي.

- أعلن عن نهاية الكتاب وعبر عن ذلك بالتّوسل والدّعاء، بذكر فضائل الشيخ أبي مدين شعيب.
- اختتم كتابه بالحمدلة (الحمد لله).
- الصّلاة والسّلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه والتابعين.
- ترديد الحوقلة (لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم).

خامسا:أسلوب الرّحلة:

تجلّت في رحلة **ابن قنفذ** سمات أسلوبية واضحة تقوم على البساطة في التركيب والسّهولة في الالفاظ، لا سيما في مقاطع السّرد ونقل الأخبار ووصف كرامات الأعلام الذين ترجم لهم. وقد اختار المؤلف لغة ميسَرة بعيدة عن التّعقيد، تقرب المعنى إلى القارئ دون حواجز بلاغية أو غموض تعبيري، مع توظيف محدود لبعض الألفاظ العامية التي عبرت عن طبيعة الشّخصيات والبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتصوفة.

اعتمد **ابن قنفذ** بشكل أساسي على التّرجمة لأعلام التّصوف، فكان شغوفًا بتوثيق حياتهم، والتّعريف بأحوالهم، ومسالكهم الرّوحية. وقد غلب عليه هاجس التّبليغ والتّوثيق أكثر من عنايته بالصّياغة الفنية، فجاء أسلوبه سرديًا خالصًا متجردًا من الزينة اللفظية، يعكس وضوح الفكرة وصدق التّوجه. وكان غرضه الأسمى تقديم صورة ناصعة لهؤلاء الأولياء، وعلى رأسهم أبو مدين شعيب وأصحابه، الذين شكلوا نقطة الارتكاز في مشروعه الرّحلي، وتركوا في نفسه أثرًا بالغًا حمله على تدوين هذه الرّحلة قصد الإفادة منها روحيًا ومعرفيًا.

أمّا من النّاحية البلاغية، فقد خلت الرّحلة من الألوان البديعية والسجع، إلا في مستهلها، حيث عمد **ابن قنفذ** إلى توظيف بعض المحسنات اللّفظية في المقدمة، في إطار ما يعرف ببراعة الاستهلال، قصد شد انتباه المتلقي واستمالته نفسيًا إلى مضمون النّص. غير أنّ هذا الأسلوب لم يتواصل في باقي الرّحلة، وهو أمر تفرضه طبيعة المادة نفسها، إذ أنّ التّرجمة لرجال التّصوف تقتضي بساطة في الأسلوب، وتواضعًا في التعبير، يتماهيان مع طبيعة الشّخصيات المتناولة التي تميزت بالزّهد والتّجرد والانقطاع إلى الله، مبتعدة عن زخارف الدنيا ومظاهرها.

ولأجل ذلك تجنب ابن قنفذ استخدام أساليب البديع التي كثيرًا ما تقترن بالتكلف والمبالغة والزينة اللفظية، نضرا لما تحمله من مظاهر التفنن التي تتعارض مع نمط الحياة الصوفي القائم على التواضع و البساطة. فجائت الرحلة، في مجملها خطابا سرديا شفافا، تتساوق فيه البنية الأسلوبية مع البنية الدّلالية في توافق دقيق بين اللّغة والمضمون والشّخصية والخطاب (الطّرح).

يتبين من خلال هذا الفصل أنّ رحلة **"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفذ القسنطيني ليست مجرد سرد لتجربة سفر، بل هي نص مركب يتداخل فيه البعد الوثائقيُّ بالبعد الصّوفي والفني، ممّا يمنحها قيمة أدبية وروحية مضاعفة. لقد كشفت الدّراسة عن البناء الفنّي المتماسك للنّص، بدءًا بالتّعريف بشخصيّة المؤلف وسياقه الثّقافي والدّيني، مرورًا بمضامين الرّحلة وتنقلاتها، وصولًا إلى تحليل العنوان بما يحمله من رمزيّة ودلالات سيميائيّة عميقة. وقد اتضح أنّ الأسلوب الذي تبناه المؤلف يتماشى مع الخلفيّة الصّوفيّة التي تؤمن وتتّسم بالزّهد والبساطة، وتنأى عن مظاهر التّعقيد والتّكلف، وهو ما جعل من الرّحلة نصًا صادقًا وناطقًا بملامح صاحبه.

الفصل الثّالث:تجليات السّرد العجائبي في الرّحلة

أولا: مفهوم السّرد العجائبي

ثانيا: السّرد العجائبي في المؤلفات الصّوفية

ثالثا: ملامح السّرد العجائبي في الرّحلة

1- عجائبية الشّخصيات

2- عجائبية الأحداث

يعدّ السّرد العجائبي من السّمات اللافتة التي تميز كثيرًا من نصوص أدب الرّحلة، خاصةً تلك التي كتبت في سياقات دينيّة أو صوفيّة.

في هذا السّياق، يسعى هذا الفصل إلى دراسة تجليّات السّرد العجائبي في رحلة "**أنس الفقير وعزّ الحقير**" لابن قنفذ القسنطيني، من خلال ثلاث محطّات رئيسة.

أولاً، يتم تحديد مفهوم السّرد العجائبي، ثمّ ننتقل في المحور الثّاني إلى رصد مظاهر العجائبيّة في الكتابات الصوفيّة، على اعتبار أنّ السّياق الرّوحي يعدّ حاضنة خصبة للسّرد العجائبي، حيث يتم توظيف الكرامات والرّؤى والكشف بوصفها مكوّنات أساسيّة في التّجربة الصّوفية. أمّا المحور الثّالث فيخصص لقراءة ملامح العجائبية في نصّ الرّحلة نفسه، من خلال الوقوف عند أبرز المقاطع التي تتجلّى فيها عناصر خارقة أو غير مألوفة.

ويبين هذا المحور كيف تتحول الرّحلة من مجرد انتقال جغرافي إلى تجربة كاشفة مليئة بالدّهشة والرّمزية، تعكس فهما صوفيا للعالم يتجسّد عبر أدوات السّرد العجائبي.

أوّلا: مفهوم السّرد العجائبي:

اقترن لفظ السّرد "بكلمة العجائبي"، فأصبح يعرف "بالسّرد العجائبي"، وهو يشمل جميع النصوص والقصص والحكايات التي تتضمن إشارات إلى كائنات وشخصيات خارقة للطبيعة، وتنقل أحداث عجيبة تخرج القارئ إلى عوالم جديدة بقوانين تتجاوز المألوف كلّ ذلك يتم بأسلوب يمزج بين الواقع والخيال.

ممّا يثير في المتلقي مشاعر الدّهشة والإنبهار، ويدفعه إلى التّردد بين قبول هذه الظّواهر الخارقة للعقل أو رفضها.

كما عرّفه "كمال أبوديب" بقوله: "نمط من الكتابة الإبداعية يروق لي أن أسميه "الأدب العجائبي"، أو "الأدب الخوارقي"، هنا يجمع الخيال الخلاق ومخترقا حدود المعقول والمنطقي والتّاريخي والواقعي، و مخضعًا كل ما في الوجود من الطّبيعي إلى الماورائي، لقوة واحدة فقط: هي قوة الخيال المبدع المبتكر الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحريّة المطلقة. يعجن العالم كما يشاء، ويصوغ ما يشاء غير خاضع إلا لشهواته ومتطلباته الخاصة ولما يختار هو أن يرسمه من قوانين وحدود".[1]

بالإضافة إلى ذلك إنّ "الأدب الغرائبي والعجائبي" بما يقدّمه من خيال مجنح يمنح فرصة للهروب من الواقع "لكن الهدف والغاية من الهروب يتراوح بين تحقيق الأمنية والإثارة ومجرد الإستماع".[2]

([1]) كمال أبو ديب، **الأدب العجائبي في العالم الغرائبي**، في كتاب العظمة وفن السرد، دار أساقي ودار أوركس للنشر، بيروت، لبنان، أكسفورد، بريطانيا، ط1، 2007، ص08.

([2]) سناء شعلان، **السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة**، الأردن، 2002، ص34.

كما نجد "سناء شعلان" أيضًا تذهب إلى أنّ السّرد العجائبي يبرز ك:" وسيلة ناجحة للكشف عن اهتمامات الشّخصيات وعواطفها التي يمكن أن تتغير وتتبدل في بيئات يتحكم بها العرف والضّوابط الاجتماعية.[1]

أي أنّ الأديب اتجه إلى هذا النّوع من الأدب لأنّه وجد فيه ملاذًا وحيدًا للهروب من واقعه والتّعبير عن مكبوتاته وأمنياته، معتمدًا بالكامل على الخيال المطلق.

ومنه إنّ السّرد العجائبي يعتبر جزءًا من الأدب الميتافيزيقي، أي الأدب الذي يهتم بما وراء الطّبيعة والأشياء التي لا تخضع للقوانين العادية، هذا النوع من السّرد يأخذ القارئ إلى عوالم غامضة وغير مألوفة مليئة بالأحداث الخارقة والعجيبة.

كما أنّ هذا السّرد يتميز بمرونته وصعوبة وضعه في قالب محدد، كأنّه شيء زئبقي (يصعب الإمساك به)، فلا يمكن التّحكم فيه أو تعريفه بدقّة كاملة.

ثانيا: السّرد العجائبي في المؤلفات الصّوفية:

السّرد العجائبي في المؤلفات الصّوفية يعدّ أحد أبرز السّمات التي تميز هذا النّوع من الأدب، حيث يستخدم للتّعبير عن تجارب روحانيّة تتجاوز حدود الواقع والحس، يظهر هذا السّرد في شكل كرامات خارقة ورؤى علويّة، وأسفار روحيّة خارج الزّمان والمكان، ما يمنح النّص بعدًا رمزًيا وعميقًا لا يقصد من هذه العجائب الإبهار السّطحي، بل تهدف إلى إيصال معان باطنيّة مرتبطة بالسّلوك الصّوفي و مراحل التّرقي الرّوحي، ومن خلال هذا السّرد، ينقل المتصوف تجربته في القرب من الله، مستعينًا باللّغة المجازيّة والرّموز الغامضة التي تفتح المجال للتّأويل والتّدبر، ممّا يجعل من الكتابات الصّوفية حقلاً خصبًا للعجائبي ذي طابع ديني ورمزي.

([1]) المرجع السابق، ص29.

كما يعرف أيضًا "بالجانب الثّري في الأدب العربي من حيث تضمّنه العديد من الخوارق والتي يتم إدراجها ضمن كرامات أولئك الشّخوص مقابل معجزات الأنبياء مثلما نجد ابن عربي في فتوحاته المكّيّة وهو يصف عوالم عليا غريبة، زارها ولقاءات عجائبيّة أخرى مثل: شطحات متصوفة عمومًا، الذين ارتبطت خوارقهم بالحلم والهذيان، وبقوة نفسانيّة يمكن القول بأنّها "كانت تتماشى رغم خصوصياتها –من بعيد أو قريب– مع ما كان يسلكه البوذيون، وجماعات هندية أخرى".[1]

إنّ هذا القول يسلط الضّوء على الأدب الصوفي بإعتباره أحد أغنى الجوانب في الأدب العربي، نظرًا لما يتضمنه من خوارق وأحداث عجيبة تنسب إلى شخصيّات صوفيّة بإعتبارها معجزات كالتي تحدث للأنبياء، بل ككرامات تمنح لهم نتيجة صفائهم الرّوحي وقربهم من الله.

وهي "سرود تدّعي عرض الحقيقة ضمن النّص وخارجه، ولها مصداقية في اللاّوعي الجمعي للشّعوب الإسلامية تتأسّس من أنّ الله عزّ وجلّ له القدرة إلى إحداث خلل ضمن القوانين الطّبيعيّة لوحي صالح من أوليائه، لسبب ما، وبطريقة ممكنة لا واجبة، والإعتقاد بوقوعها على الحقيقة جائز على اعتبار أنّها لا تتمتع على القدرة الإلاهية".[2] ومنّه فالسّرد العجائبي في الأدب الصّوفي وسيلة للتّعبير عن التّجربة الرّوحية العميقة التي يعيشها المتّصوف في رحلته نحو الله، يتجلّى هذا السّرد في شكل كرامات، رؤى، شطحات وأسفار روحيّة خارقة تتجاوز حدود الواقع والمنطق. ولهذا أصبح السّرد العجائبي بعدًا فنيًا وروحيًا يميز الكتابات الصوفيّة عن غيرها من أشكال الأدب العربي.

ولطالما كانت الصّوفيّة وحكايات المتّصوفة مرتبطة ولصيقة بالعجائبيّة وكأنّ هذه الأخيرة تكمل الأولى، ومن ثمّة حكاياتها لم تخل من كل ما هو غريب وعجيب، واقتصرت على ما يعرف بالولي الصّالح الشّيخ والمريد وما يحملوه من كرامات، وهذا ما تجلى بشكل واضح في رحلة **ابن قنفذ** التي

([1]) شعيب كليفي، **شعرية الرواية الفانتاستيكية**، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص16.

([2]) فوزية قفصي بغدادي حسين، **العجائبي مفهومه وتجليه في الموروث السردي العربي**، تسليم مجلة فصلية محكمة، السنة الخامسة، مج 09، العددان 17 و 18، 2021، ص457، 458.

كانت تركز التّصوير على الولي الصّالح، وما يتمتع به من كرامات، إذ نجده في مقدمة رحلته يخصص تقديم يعرف فيه بالولي ومكانته وعظم شأنه، والولي هو الرابط بين العبد وربه والمنارة الوحيدة التي يبصرها التّابع وكل عمل تابع له وتحت إشرافه، ورغم غيابه الجسدي فهو حاضر يأمر وينهي ويطاع على الدّوام، وكل ماله مصان ومقدّس، فقدسيته غير محدودة تشمل الذّات في وعيها وفي لا وعيها، وانحلال الذّات في حبه والإنزواء إلى زاويته، والعمل تحت جناحه هو السّبيل الوحيد للنّجاة ولبلوغ المراد فقداسته تمتد إلى قداسة الأنبياء والصّالحين، وابن قنفذ يركز على قداسة الولي، ويضفي عليه بعض الصّفات التي قد لا يتقبلها العقل أحيانًا.

ثالثا: ملامح السّرد العجائبي في الرّحلة:

يتجلى البعد العجائبي في أدب الرّحلة من خلال مكونات متعددة، أبرزها الشّخصيّات والأحداث، حيث تكتسب هذه العناصر طابعًا خارقًا أو غير مألوف يجعلها تخرج عن منطق الواقع اليومي، لتدخل في نطاق الإدهاش والغرابة. وفي نص **"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفذ القسنطيني، يبرز السّرد العجائبي كإحدى السّمات الأسلوبية البارزة التي تسهم في تشكيل الطّابع الرّوحي والرّمزي للرّحلة.كما أنّ تحليل هذين البعدين –الشّخصيّات والأحداث– يتيح فهمًا أعمق للطريقة التي يوظف بها العجائبي في النّص.

1– عجائبية الشّخصيّات:

تُعدّ عجائبيّة الشّخصيّات من أبرز مظاهر العجائبي في أدب الرّحلة، حيث يظهر الأبطال والفاعلون في النّصوص الرّحلية بصفات خارقة أو قدرات تتجاوز المألوف، كامتلاكهم كرامات خاصة، أو قدرتهم على التّأثير في الأحداث بوسائل لا تخضع لقوانين الواقع العادي.

وفي **رحلة أنس الفقير وعزّ الحقير**، تأخذ الشّخصيّات بعدًا عجائبيًا واضحًا، خاصة تلك التي تنتمي إلى دائرة الأولياء والصّالحين، إذ تُقدَّم بسمات تتجاوز الطّبيعة البشريّة، فتُحيط بها حالة من التّقديس، ويُنسب إليها التّصرف في الكون، ووقوع الكرامات والخوارق.

وتُسهم هذه الشّخصيّات في تكثيف الطّابع العجائبي داخل النّص الرّحلي، فهي لا تمثل مجرد أفراد عاديين، بل رموزًا تُجسّد قيمًا دينيّة وروحيّة عليا، وتعكس رؤية صوفية للعالم ترى أنّ الواقع المادي ليس سوى قشرة تخفي وراءها عوالم الغيب والمعنى الأعمق للوجود.

وعليه، فإنّ تحليل عجائبيّة الشّخصيّات في هذا النّص يُعدّ خطوة أساسيّة لفهم البِنية الدّلالية للرّحلة، والرّسائل الرّمزيّة التي يسعى الكاتب إلى إيصالها من خلال تقديم هذه الشّخصيّات الخارقة في سياق رحلته، و تبرز في عدة مواضع :

1- قال أبومدين في نفسه: "**إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في ذلك المكان. فقام ومرغت وجهي، فلمّا رفعت رأسي لم أبصر شيئا فقلت: عميت، فبقيت طول الليل باكيا، فلمّا أصبح استدعاني و قال لي: اقرب يا اندلسي وقمت لا أبصر شيئا فمسح بيده على عيني فعاد بصري...**".[1]

يظهر في القول مشهد عجائبي ذو دلالة صوفية عميقة يمكن تأويلها كالآتي:

– **البعد السلوكي**: إن تمريغ الوجه في موضع جلوس الشّيخ: هو رمز للتّواضع والخضوع التّام أمام الشّيخ، وهو فعل يدل على الفناء الرّوحي في طريق السّالك إلى الله، و هذه الحركة لا يقصد بها التّقديس المادي للشّيخ بل تمثل عند الصّوفيين تطهيرًا للنّفس وطلب للبركة الرّوحيّة من المكان الذي جلس فيه الشّيخ الكامل.

(1) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص15.

– **العمى كرمز**: العمى هنا ليس مجرد فقدان حسّي للبصر، بل يستخدم غالبا كرمز عميق يرتبط بمفاهيم البصيرة، الحجاب، الغفلة، والإختبار الرّوحي، ويمكن فهم ذلك في قصة أبي مدين حين عمي بعد أن مرغ وجهه في موضع الشّيخ، إذ يعتبر هذا التّصرف على أنّه تجاوز حدود الأدب في حضرة الشّيخ فحجبت عنه أنوار الكشف الرّوحي.

حيث كان تصرفه بدافع المحبّة والتّبرك، لكنه لم يستأذن ولم يضبط النّيّة بالأدب الصّوفي فانقطعت عنه الرؤية، أي انقطعت هدايته الرّوحيّة مؤقتا، فالعمى لم يكن عقوبة بل تأديب وتَربية روحيّة، الغاية منه أن يدرك المريد أنّ القرب من الشّيخ أو من الله لا يكون بالمظاهر فقط بل بالتركيبة الداخلية وأدب النّفس. فالعمى هنا لا يقرأ حرفيا، بل هو علامة على لحظة انتقال روحي في سلوك أبو مدين.

من حالة النّيّة الطيبة غير المنضبطة إلى حالة التّوبة والإنكسار ثمّ إلى الفتح والنّور، ومنه هو انقطاع مؤقت لإختبار صدق السّالك ولتحقيق معنى "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّه رَفَعَهُ".

– بكاء أبو مدين تعبير عن الندم والخضوع الكامل، وهو لحظة تطهر داخلي تنقي النّفس قبل نيل العطاء الحقيقي، ففي الفكر الصّوفي البكاء والضّيق علامات على الإستعداد للفتح لأنّه لا ينزل البلاء إلا ويتبعه الرّجاء.

– إعادة البصر بمسح الشّيخ على عينه فعاد بصره، فذلك يفهم في التّصوف ككرامة صوفيّة، أي تصرف خارق للعادة يجريه الله على يد الولي.

وخلاصة القول، إنّ هذا القول يجسد رحلة أبو مدين بين الخطأ والتّأديب والرّحمة فيه يتجلى في:

–التّأديب الإلاهي حين فقد البصر.

–الإعتراف والتّوبة بالبكاء والنّدم.

-العفو والفتح حين مسح الشيخ على عينيه.

2- قال أبو عبد الله التّاودي رحمه الله: **"حظر عند أبي علي يعزى وجيء له برجل قعد عن الحركة، فما زال يتفل عليه حتى قام"**[1].

هذا القول منسوب إلى الإمام أبي عبد الله التّاودي، وهو يروي فيه موقفا شاهده بنفسه عن شيخه أبي علي يعزى والغاية منه:

-بيان كرامات الأولياء والصالحين:

القصة تبين أنّ الشّيخ علي يعزى كان رجلاً صالحًا مقربًا من الله لدرجة أنّ الله أجرى على يده كرامة خارقة للعادة و هي شفاء رجل عاجز فقط من خلال النّفث (بالنّفخ) مع قليل من الريق وقراءة شيء مثل القرآن أو الدّعاء- هذا يعطي للنّاس إيمانًا وثقةً في بركة الصّالحين وقوة الدّعاء والنّية الخالصة.

-قوة الإيمان والتّوكل على الله:

الموقف يعكس أنّ الشّفاء والمعجزات ليست بشرط أن تكون فقط بالأدويّة أو الأمور الماديّة، بل ممكن أن تحصل ببركة الصّدق في الإيمان والدّعاء واليقين في قدرة الله تعالى، والنّفث هنا كان وسيلة لكن الفاعل الحقيقي هو الله.

3- حدث الشّيخ الصالح أبو الحسن بن عبد الكريم عن أبي تميم، قال: **"أعجب ما رأيت من أخبار الصالحين أني مشيت بأختي حيث ظهر البرص بها في الوجه إلى مدينة فاس ليعالجها الأطباء، وحملت معي بسبب ذلك نفقة، فلم ينفع الدواء فرجعت بها وقصدت زيارة أبي تميم... جاءته أختي وسلمت عليه وقعدت وجعل يحدثنا ويمسح بريقه على موضع البرص المرة بعد المرة**

(1) ابن قنفذ، **رحلة أنس الفقير وعز الحقير**، ص29.

فغلبني النّوم وأنا جالس ثم انتبهت فوجدته مستندا يذكر ونظرت إلى وجه أختي فإذا هو قد ذهب البرص منه".[1]

هذه القصة تظهر جانبا من كرامات الصّالحين، حيث عجز الطّب والأدويّة عن شفاء الفتاة من البرص، فكان الشّفاء على يد رجل صالح بمجرد مسحه موضع المرض بريقه وذكره لله تعالى، وفي هذا عبرة عظيمة أنّ الله تعالى قد يجري الشّفاء على أيدي أوليائه، لا لشيء إلا لصدقهم وإخلاصهم وتقواهم.

كما تبرز القصّة أهمية التّوجه إلى الله والثّقة في قدرته وأنّ القلوب الصّافيّة واللّسان الذّاكر قد يكونان سببًا في دفع البلاء وجلب الرّحمة.

4- حدث الشّيخ أبي مدين عن شيخه أبي مسعود الحكاية المشهورة وهي أنه قال: **"نمت ليلة قريبا من شيخنا أبي مسعود في خلوته فسمعت كل شعرة تذكر الله تعالى بلسان فصيح".**[2]

في هذا القول يظهر تأثير الشّيخ الرّوحي القوي حيث يروي أبو مدين أنّه في أثناء نومه بجوار شيخه، سمع الحكاية تعبر بأسلوب رمزي عن شدّة صفاء الرّوح وحضور الذّكر في أعماق الجسد لدرجة أنّ كل خلية فيه أصبحت تنطق بإسم الله، إنّها تجربة تعكس حال الفناء في الذّكر، حيث يصل الصّوفي إلى مرتبة روحيّة عاليّة فيصبح كلّه لسانًا وقلبًا ذاكرًا.

5- يحكي الشّيخ أبو مدين عن كرامة عجيبة لولي من أولياء الله يدعى أبو شعيب أيوب السّارية، ويقول أنّه كان إذا قام لصلاة النّافلة (أي الصّلاة التّطوعية)، يغيب عن الوعي من شدّة خشوعه وإتصاله بالله، ويبقى واقفًا لا يتحرك كأنّه سارية (عمود ثابت) وكان هذا الغياب ليس نومًا، بل حال روحي عميق يبتعد فيه عن العالم من حوله، فإذا حان وقت الصّلاة المفروضة، يأتي المؤذن

([1]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعزالحقير**، ص31،32.

([2]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص27

ويصيح في أذنه صيحة قوية جدا تسمع من خارج المسجد، فيستيقظ من حال الغيب، ويتم صلاته بسرعة ثمّ ينضم إلى الجماعة هذه الحكاية تعبر عن درجة عاليّة من التّفرغ لله والذّوبان في الذّكر، لدرجة أنّ الجسد يبقى منتصبًا بلا حراك، وكأنّ صاحبه انفصل عن الدّنيا واتصل بعالم الغيب، ثمّ يعود منها عند نداء الجماعة، إذ يقول أبو مدين: "**أنّ أبي شعيب معروف بأيوب السارية ومعنى هذا أنه كان إذا وقف في صلاة النافلة غاب وهو منتصب كالسارية فإذا قامت الصلاة جاءه المؤذن وصاح في أذنيه صيحة تسمع من خارج المسجد فيستيقظ من غيبته عن الناس ويخفف في صلاته ويدنو المصلين**".[1]

6- قال الشيخ أبي يعزى رحمه الله: "**مالهؤلاء ينكرون الكرامة والله لو كنت قرب البحر لأريتهم المشي على الماء**".[2]

في هذا القول يعبر الشّيخ عن استغرابه من النّاس الذين ينكرون وجوه الكرامات أي الظواهر الخارقة التي يجريها الله على يدّ بعض عباده الصّالحين مثل شفاء المرضى أو معرفة أمور خفية، أو غيرها من التّصرفات التي لا تفسر بالعقل.

ويبتسم قائلا: "و الله لو كنت قرب البحر"، أي لو كان البحر قريبا منه لأراهم أنّه يستطيع المشي على سطح الماء دون أن يغرق، وهي كرامة عظيمة مشهورة عند الأولياء.

7- حدثني قاضي الجماعة بمراكش الشيخ الفاضل المتخلق الحافظ لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو زيد عبد الرحمان القيسي... أنّه أراد أن يقرأ عليه علم العروض، قال لي: "**ولا دريت هل له معرفة به أم لا، وفكرت في نفسي كيف يكون سؤالي عن ذلك، قد خلت عليه، وهو في**

(1) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص42،43.

(2) المصدر نفسه، ص04.

حلقة العلم وأنا في قلق من ذلك، فجلست ثمّ سمعته قد رفع صوته وهو يقول مثل ما يقول العروضيون كذا وتكلم في فن العروض فعلمت أنه معي".[1]

في هذا القول يروى أنّ أبو مدين جاءه أبو زيد عبد الرحمان القيسي وسأله عن الشّيخ الهزميري هل يتقن علم العروض لكنّه لم يكن يعلم إن كان الشّيخ متمكنا من هذا الفن أم لا، فتردد في سؤاله، واحتار في الطريقة التي يفاتحه بها، فدخل على الشّيخ وجلس في حلقة العلم دون أن يبوح بشيء وإذا بالشّيخ فجأة يرفع صوته ويتحدث عن علم العروض-ففهم حينها أنّ الشّيخ قد أدرك نيته دون أن يسأل وكأنّ بينهما تواصلاً روحيًا خفيًا، هذه الحكاية البسيطة تحمل في طياتها كرامة صامتة وشفافيّة روحيّة، حيث يظهر الشّيخ بقدرة غير عادية على إدراك ما في نفس مريده-أي الذي يقصده- وهو ما يعرف في التّصوف بالفراسة أو الكشف، و تعدّ الكرامات الوجدانية التي تدل على صفاء القلب واتصال الرّوح.

8- حدّثوا عن أبي الحسن علي ابن غالب " **أنّه إذا اشكلت عليه مسألة علمية نظر إلى جهة من جهات البيت فيجدها مكتوبة في الجدار** "[2]

تتجلى العجائبيّة في هذا القول من خلال الخرق الواضح لقوانين الواقع والمنطق، إذ أنّ الجدران لا تكتب، ولا تقدم أجوبة علميّة لمن يسأل، فأن يجد أبو الحسن الجواب مكتوبا على الجدار دون تدخل بشري يجعلنا أمام حدث غير طبيعي بخرق المألوف ويفوق قدرة الإنسان العادي .

هذا الطّابع العجائبي يضفي عليه الشّخصية حالة من التّقديس والإلهام الإلهي وكأنّ العلم يوحى إليه، لا يكتسب ولهذا يدخل القول في عالم العجائبي حيث تختلط الحقيقة بالخيال، ويصور العالم وكأنّه مسخر لخدمة عالم أو فقيه بوسائل لا تخضع للمنطق.

([1]) ابن قنفذ، **أنس الفقير و عز الحقير**، ص67.

[2]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص26

2- عجائبية الأحداث:

تُعد عجائبيّة الأحداث من أبرز الملامح التي تميز أدب الرّحلة عن غيره من الأجناس الأدبيّة، حيث تلتقي فيه الغرابة بالدّهشة، والواقع بالخيال، في مشاهد تتجاوز المألوف والمعتاد. وفي هذا السّياق، تصبح الأحداث العجائبيّة وسيلة تعبير عن رؤية ثقافيّة ودينيّة معينة، تعبّر عن العالم في ضوء معتقدات الرّحالة وتمثلاته، وتُجسد تصوّره عن الكون والآخر.

في رحلة **"أنس الفقير وعز الحقير"**، تتجلى عجائبيّة الأحداث من خلال الوقائع الخارقة للعادة التي يرويها **ابن قنفذ**، كظهور الكرامات، أو تحقق الأمنيات بصورة معجزة، أو لقاءات غير متوقعة تحمل معاني روحيّة عميقة. هذه الأحداث العجائبيّة لا تُقدَّم على أنّها خيال محض، بل كحقائق موثوقة ومؤكدة في الوعي الدّيني والاجتماعي للكاتب، ممّا يعزز بعدها الرّمزي ويمنحها شرعيّة سرديّة داخل النّص.

إنّ دراسة عجائبيّة الأحداث في هذا النّص تُعدّ خطوة مهمة لفهم البنية السّرديّة والرّمزيّة للرّحلة، والكشف عن الأبعاد الجماليّة والدّلاليّة التي تتشكل من خلال هذه الأحداث الخارقة، التي تمنح النّص بُعدًا جماليًا وروحيًا يتجاوز حدود الواقع العياني.

1- قال الشيخ أبومدين، **"فلقيني الأسد في الطريق فأقسمت عليه بأبي يعزى فتنحى عني وخرج عن الطريق"**.[1]

في ظاهر القول نرى موقفا خطيرا يتمثل في مواجهة مع أسد، لكن أبو مدين لا يظهر خوفا، بل يخاطب الأسد بقسم على الولي الصّالح "أبي يعزى" الذي يكن له الإحترام ويعرف منزلته، فيتنحى الأسد مطيعا.

(1) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص16.

هذه القصة تحمل دلالة رمزيّة قويّة في الفكر الصّوفي، فالأسد يمثل العقبة أو الخوف الذي يعترض طريق السّالك إلى الله، وأمّا القسم ب"أبي يعزى" فيعكس إيمانًا صوفيًا ببركة الأولياء وكل أمّتهم، إذ يعتقد أنّ الأرواح الطّاهرة والمرتبطة بالله يمكن أن تؤثر في الكون وتذلل العقبات.

انصراف الأسد هنا لا يفهم على أنّه مجرد واقعة خارقة، بل هو تجل لطاعة الموجودات لمن استقامت روحه وانسجمت مع الإرادة الإلهية، فكما يقول الصّوفيّة: "**إذا استقام القلب استقامت له الموجودات**".

2- قال ميمون التاورطي عن أبي يعزى: "**وشكا الناس إليه مرة احتباس المطر فرمى بشاشيته وبقي رأسه أبيض ونظر وقال: يا مولاي هؤلاء السادة يطلبون من هذا العبد المطر، ما قدري أنا حتى يطلب مني المطر؟ ثمّ بكى فأنزل الله المطر**".[1]

القول يحكي قصة ذات طابع صوفي تظهر تواضع الولي وتقواه، يروي أنّ أبو مدين ذهب إلى أبي يعزى وأخبره أنّ النّاس شكوا له تأخر نزول المطر، فطلبوا منه أن يدعوا الله لينزل الغيث فقام "أبي يعزى" بفعل رمزي رمى بشاشيته، وبقي رأسه مكشوفًا علامة على الخشوع والتّواضع ثم رفع نظره إلى السّماء وقال: يا مولاي هؤلاء السّادة يطلبون من هذا العبد المطر وما قدري أنا حتى يطلب مني ذلك؟ أي أنّه استصغر نفسه أمام عظمة الله مؤكدا أنّه مجرد عبد لا يملك شيئًا، ثمّ انفجر بالبكاء من شدّة خشيته وقف لله فإستجاب الله دعائه وأنزل المطر. هذا الموقف يظهر عمق الإيمان والتّواضع ويبرز كيف أنّ الدّعاء الصّادق الخارج من قلب خاشع قد يكون سببا في رحمة الله بالناس.

إجمالا العجائبيّة هنا تتجلى في تلك العلاقة الفريدة بين الولي وربه حيث تصبح الطّبيعة- كالمطر-خاضعة لإستجابة دعاء "أبي يعزى" ممّا يعزز صورة الولي كوسيط رحمة بين النّاس وربهم في المخيال الصّوفي الشّعبي.

([1]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص23.

3- قال الشيخ أبومدين رضي الله عنه: **"أعطني ثوبك فناوله إياه، فخرج وغطى به الصحفة، ثم عاد إلى ركن الزاوية فصلى ركعتين ثمّ رجع فخرج وأدخل الصحفة و هي مملوءة عسلا أبيض".**[1]

هذه الحكاية تحمل طابعا صوفيا وعجائبيا وتظهر كرامة من كرامات الأولياء وتدل على النّية الصّادقة والدّعاء الخالص قد ينتج أثرا خارقا للطّبيعة، كأن يمتلئ الإناء بالعسل دون تدخل مادي واضح وهي تعبير رمزي على أنّ الدرق الحقيقي لا يأتي من الجهد فقط بل من البركة والتّوكل على الله، وأنّ الأولياء إذا خلصت نياتهم واتصلوا بالله جاءهم الخيرات من حيث لا يتوقعون.

4- "ففي البخاري أن رجلين خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ليلة مظلمة فإذا النور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما".[2]

يحكي هذا القول أنّ رجلين من الصحابة- وقيل أنهما أسيد بن حضير و عباد بن بشر-خرجا في ليلة شديدة الظّلام بعد لقائهما بالنّبي صلى الله عليه وسلّم وبينما كانا يسيران، أضاء لهما نور أمامها في الطريق مثل المصباح، يمكنهما من الرؤية والسير بأمان وعندما افترق كل واحد منهما إلى طريقه-انقسم النّور أيضا وتبع كل واحد منهما فصار كل واحد يسير ومعه نوره الخاص.

وصنف حدثا عجيبا لأنّ النّور ظهر في الظّلام دون سبب مادي واضح وانقسم تلقائيا، وهي ظاهرة لا تحدث في الواقع.

5-نادى عمر بن الخطاب: **"يا سارية الجبل! " "يحضه على الرجوع إلى الجبل حذرا من العدو وبينهما مسيرة أيام فرآه وسمعه سارية فرجع إلى الجبل وسلم من العدو".**[3]

([1]) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص39.

([2])المصدر نفسه، ص04

([3]) المصدر نفسه، ص04.

القول يروي حادثة مشهورة من كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتظهر قدرة خارقة أعطاها الله له في لحظة حرجة، في هذا القول قصة فريدة و عجيبة وهي أنّه كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في المدينة، و في أثناء الخطبة نادى فجأة: "يا سارية الجبل!"، أي انتبه واحتم بالجبل!.

وسارية هو قائد جيش مسلم كان يقاتل في بلاد بعيدة، تبعد عن المدينة عدّة أيام سفرًا، والمعجزة والكرامة هنا أنّ سارية سمع نداء عمر في تلك اللّحظة رغم بعد المسافة، وفهم الرسالة، فعاد إلى الجبل هو وجيشه، ونجا من كمين للعدو كان سيقع فيه.

6-"ولما حظرت الوفاة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وجه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: "إن أنا مت، فأغسلوني، وكفنوني، و صلوا علي، واحملوني إلى روضة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و استأذنوا علي في الدفن بازاته، عليه السلام، فإن فتح الباب من غير فعل إنسان فأدفنوني هنالك وإلا فإحملوني إلى البقيع" ففعل ذلك علي رضي الله عنه وأتى به إلى باب الروضة المباركة و قال: "يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن في الدفن إلى إزائك" ففتح الباب من غير فاتح حبا وكرامة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه".[1]

هذا القول يروى في كتب الفضائل والمناقب و يظهر كرامة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنّه، حيث يقال أنّه أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يحتضر، وصية دقيقة ومؤثرة: أن يدفن بجوار النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقط، إذا أذن له بذلك بطريقة غير بشرية، أي إذا فتح باب حجرة النّبي صلى الله عليه وسلّم دون تدخل أحد، لتكون علامة على قبول النّبي صلى الله عليه وسلّم وأذن بدفنه إلى جواره، وبالفعل نفذ الإمام علي الوصية وحمل الجثمان إلى الرّوضة الشّريفة

(1) ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص4، 5.

واستأذن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فانفتح الباب من تلقاء نفسه، فتم دفنه هناك، واعتبر ذلك كرامة وبرهانا على مكانة أبي بكر عند النّبي صلى الله عليه وسلّم.

كما تعكس الحكاية العجائبيّة المرتبطة بالمقام النّبوي الشّريف حيث يفتح الباب بإذن غيبي في مشهد يخترق الواقع ليعبر عن الفضل الإلهي والتّكريم العظيم.

7- "ورأى خالد بن الوليد زقا فيه خمر فقال: **"ما هذا؟" فقالو له: "خل" فقال: "اللهم اجعله خلا!" فصار خلا".**[1]

هذا القول يروي خالد بن الوليد رضي الله عنه، أحد كبار الصّحابة وقادة الإسلام المعروفين، ويظهر كرامة خارقة ترتبط بدعائه واستجابته من الله، إذ رأى خالد بن الوليد زِقًّا (وهو وعاء من الجلد يستخدم لحفظ السوائل)، وكان فيه خمر فسأل عن محتواه، فقالوا له إنه خل التّورية أو الكذب أو الصّدارة).

فرفع خالد يديه ودعا قائلا "اللّهم اجعله خلاً" أي حول هذا الخمر إلى خل، وهو أمر مستحيل بشريا، وذلك يظهر كرامة عجائبية واضحة حيث استجيب دعاؤه فورا في مشهد يرمز إلى طهارة النّفس وقوة اليقين بالله، ويجسد فكرة أنّ الدّعاء من قلب مؤمن مخلص قد يبدل الواقع ويخرق العادة بإذن الله.

(1) ابن قنفد، **أنس الفقير وعز الحقير**، ص6.

يتّضح من خلال هذا الفصل أنّ السّرد العجائبي يشكل مكونًا جوهريًا في نص **"أنس الفقير وعز الحقير"**، حيث لم يكن إدراج العجائبي مجرد ترف سردي أو تزيين تخييلي، بل كان تعبيرا أصيلًا عن تصور صوفي، يجعل من الكرامات والرّؤى والأسفار الرّوحيّة جزءًا من بنية المعنى ومفتاحًا لفهم التّجربة الرّوحية للرّحالة.

كما أظهرت كيف يتجاوز السّرد العجائبي في هذا النّص المستوى الظّاهري للحدث نحو أفق رمزي أعمق، تتداخل فيه الدّهشة بالمعرفة، ويتحول فيه الولي الصّالح إلى مرآة تعكس العلاقة بين الإنسان والمطلق. كما تبين أنّ الحضور العجائبي سواء عبر الشّخصيّات أو الأحداث، كان مؤطرًا بثقافة صوفيّة ترى في كسر العادة علامة على التّجاوز، وفي الخارق وسيلة للتّعبير عن الباطن والغيبي.

الخاتمة

يعدّ ابن قنفذ من أبرز الرّحالة الذين عُرفوا بشغفهم بالمعرفة وحبّ الإستكشاف، وتعدّ رحلة "**أنس الفقير وعزّ الحقير**" أثرًا أدبيًا ذا قيمة عالية، لما تضمنته من معلومات دينيّة وتراجم العلماء وأدباء، إضافة إلى ما ورد فيها من مشاهد وأحداث غير مألوفة، وقد ساهم هذا التّنوع في إضفاء طابع عجائبي وغرائبي على الرّحلة سواء من حيث الوقائع التي واجهها أو الشّخصيات التي التقى بها خلال أسفاره.

ومن النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

1- يقدم أدب الرّحلة صورًا تاريخيّة للقراء، ويصف المراحل التي شارك بها الرّحالة وذلك لإحتوائه على العديد من الأحداث والقصص.

2- يمتزج في السّرد الرّحلي الواقع بالخيال، ممّا أضفى عليه طابعًا مميزًا وجعله فضاءًا خصبًا لدراسة العجائبي واستكشاف تمثلاته السّردية والثّقافية.

3- لم يحظ الأدب العجائبي بالإهتمام الكافي مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى حيث ظل مهمشا لفترة طويلة، حتى من قبل النّقاد الذين تعامل كثير منهم معه بنظرة سطحيّة تفتقر إلى التّحليل العميق لمضامينه ودلالاته الجماليّة والثّقافيّة.

4- تنوعت مظاهر العجائبي في أدب الرّحلة فتجلّت في الحدث والشّخصيّة والوصف.

5- نقل "**ابن قنفذ**" في رحلته مجموعة من الأحداث الواقعيّة والإجتماعيّة والتّاريخيّة والدّينيّة، وقد تميزت هذه المادة السّرديّة بطابعها العجائبي والغرائبي.

6- يعدّ كتاب رحلة "**أنس الفقير وعزّ الحقير**" موسوعة شاملة ذات طابع تاريخي وجغرافي واجتماعي وديني، ويحسب للمؤلف ابن قنفذ القسنطيني أنّه من القلائل الذين أولوا اهتماما خاصًا بالجانب الدّيني في أدب الرِّحلة من خلال تسليط الضّوء على كرامات الأولياء الصّالحين ومن أشهرهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلّم والولي الصّالح أبو مدين.

7- تميزت رحلة "**ابن قنفذ**" بحضور واضح للعجائبي من خلال ما تضمنته من وقائع وأحداث وشخصيّات ذات طابع غير مألوف، ممّا يؤكد أنّ العجائبي يشكل مكوّنا أساسيًا في البناء السّردي للرّحلة.

8- يتّسم أسلوب "**ابن قنفذ القسنطيني**" في رحلته بالبَساطة والوضوح، مع نزعة توثيقية وروح صوفية حاضرة في أغلب المشاهد والوصف.

9- نزوع ابن قنفذ في رحلته إلى الغرائب والعجائب دون الإنزلاق في الخيال المحض ممّا جعل أسلوبه مزيجا من التّوثيق والتّصوف والسّرد الوصفي.

10- حضور قوي للذّات السّاردة في الرّحلة بشكل واضح من خلال التّعبير عن انفعلاته ومشاهداته و تأملاته.

11- أسلوب بسيط في الرّحلة يعكس طبيعة الشّخصيات خالي من الزّخارف البلاغيّة والتّكلف، متّسما مع روح النّص والزّهد الذي يتّسم به أبطاله، ما جعل الرّحلة أكثر صدقا.

12- تفرد الرّحلة ببنية فنيّة متماسكة ومتكاملة تجمع بين التّسلسل الزّمني والمكاني والتّنظيم الموضوعي، ممّا يعكس وعيا سرديا لدى المؤلف رغم الخلفيّة الدّينيّة للنّص.

قائمة المصادر والمراجع

1. جلال الدين محمد المحلي، جلال الدين السيوطي، المنتقى من تفسير الجلالين في القرآن الكريم، دار أبجدية وهدية للنشر والتوزيع، الرياض، (د،ط)، 1444هـ.

أولا: المصادر

2. ابن قنفذ القسنطيني، رحلة أنس الفقير و عز الحقير، شرحه و حققه: محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1995.

ثانيا: المراجع

1. المراجع باللغة العربية:

3. أحمد التنبكتي، نيل الإجتهاد في تطريز الديباج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ج1.

4. أحمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1398 هـ، ج1.

5. ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، ط، خزانة إبن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

6. سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم و تجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

7. سناء شعلان، السرد الغرائبي و العجائبي في الرواية و القصة القصيرة، الأردن، 2002.

8. شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

9. شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

10. صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميداني، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989.

11. ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز دخان، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2003.

12. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار الطيبة للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، ج7، 1999.

13. كمال أبو ديب، الأدب العجائبي في العالم الغرائبي، في كتاب العظمة و فن السرد، دار أساقي و دار أوركس للنشر، بيروت، لبنان، أكسفورد، بريطانيا، ط1، 2007.

14. محمد فكري الجزار، العنوان و السيموطيفيا للإتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.

15. محمد قويسم الفقية، أحمد بن قنفذ بن الخطيب القسنطيني، دوريات كان التاريخية، البلد 1514، مارس 2012.

16. محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تح: محمد الفاسي المركز الجامعي لمبحث العلمي، المغرب، (د.ت)، (د.ط)، دن المقدمة.

17. نصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن 24، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1.

المراجع المترجمة:

18. أرسطو، الخطابة، للترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979.

19. تودوروف تزيفطان، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، مراجعة، محمد براءة، دار الشرقيات للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1994.

ثالثا: القواميس والمعاجم:

20. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، ط5، (د.ت)، ج1.

21. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، (د.ط)، (د.ت) عبد السلام محمد قارون، (مادة ج-ل)، دار الفكر، سوريا، (ط2)، 1979، (ج2).

22. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

23. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، لبنان، بيروت، ط1، 1988، ج1.

24. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، ج: 4.

25. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1999م.

26. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، (د.ت).

27. محمد التوبجي، المعجم المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ج2.

28. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005.

29. مجدي وهبة و كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

30. ابن منظور، معجم لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، ، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج10

رابعا: المجلّات:

31. فوزية قفصي بغدادي حسين، العجائبي مفهومه و تجليه في الموروث السردي العربي، تسليم مجلة فصلية محكمة، السنة الخامسة، المجلد التاسع، العددان 17 و 18، 2021.

32. مجلة الأدب الإسلامي، العدد الثالث، بيت فلسطين للشعر، ربيع الأول 2415 هـ.

33. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، 1996، ج11.

34. ليلى شعبان شيخ محمد رضوان، سهام سلامة كباس، المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي، جامعة الإمام عبد الرحمان الفيصل، كلية الآداب بالتمام قسم اللغة العربية، المجلد 1 من العدد 33 لخونية كلية الدراسات الإسلامية و العربية، لبنان، بالإسكندرية.

خامسا: الرّسائل والأطروحات الجامعية:

35. جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، إشراف أمحمد بن لخظر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، 2015.

36. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة و التطور و البنية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف الشريف مريبحي، جامعة الجزائر، 2006، 2007.

سادسا: المحاضرات:

37. عبد الرحمان تيبرماسين، (فضاء النص الشعري)، محاضرات الملتقى الوطني الأول، السيمياء و النص الأدبي، 7-8 نوفمبر 2000، منشورات جامعة بسكرة.

فهرس الموضوعات

العنوان:العجائبية في أدب الرحلات رحلة"أنس الفقير و عز الحقير" ابن قنفذ القسنطيني –أنموذجا–	الصفحة
مقدمة	أ-د
الفصل الأول: العجائبية و أدب الرحلة	05
أولاً: مفهوم العجائبيّة	07
1– في القرآن الكريم	07
2– لغةً	09
3– اصطلاحًا	10
أ– عند الغرب	10
ب– عند العرب	11
ثانياً: مفهوم أدب الرّحلة	13
1– لغةً	13
2– إصطلاحًا	14
3– أنواع الرّحلات	16
4– الرّحلة في الأدب الجزائري	19
الفصل الثّاني:البناء الفنّي لرحلة "أنس الفقير وعز الحقير"	22
أولاً: التّعريف بابن قنفذ القسنطيني	24
ثانياً: مضمون الرّحلة	25
ثالثاً: قراءة في عنوان الرّحلة–التّحليل السّيميائي–	27
1–مفهوم العنوان	27

أ–لغةً	27
ب–اصطلاحًا	28
– المستوى الدّلالي	29
– المستوى التّركيبي	31
– المستوى الرّمزي	33
– المستوى الثّقافي والتّاريخي	34
رابعاً: بنية الرّحلة	34
خامساً: أسلوب الرّحلة	39
الفصل الثّالث:تجليات السّرد العجائبي في الرّحلة	42
أولاً: مفهوم السّرد العجائبي	43
ثانياً: السّرد العجائبي في المؤلفات الصّوفية	44
ثالثاً: ملامح السّرد العجائبي في الرّحلة	46
1– عجائبيّة الشّخصيّات	46
2– عجائبيّة الأحداث	53
الخاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	62
فهرس الموضوعات	68
الملخص	71

الملخص

الملخص:

يعدّ أدب الرّحلة من الأجناس الأدبيّة القديمة حيث عرف في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، ووجد قبله في آداب الأمم والحضارات الأخرى، وقد ارتبط هذا اللّون الأدبي في بداياته بالسّفر والإكتشاف إذ كان هدفه الأساسي استكشاف أراض جديدة مجهولة وتدوين الإنطباعات والإنفعالات المرتبطة بها، ومن بين أبرز الرَّحلات التي وصلتنا في شكل مؤلفات ومخطوطات من العصور الماضيّة- رحلة **"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفذ القسنطيني، التي نقل فيها أخبارًا عن الأولياء الصّالحين، وَوَصْفِ أضرحتهم وزواياهم، كما سرد بالتّفصيل كل ما رآه من ظواهر عجيبة ومشاهد غريبة خلال رحلته.

وقد جاءت هذه الدّراسة لتسليط الضّوء على مواطن العجائبيّة التي وردت في هذه الرّحلة، محاولة تحليل مظاهرها وفهم أبعادها ودلالاتها ضمن سياقها الثّقافي والدّيني والرَّحلي.

الكلمات المفتاحيّة: أدب الرّحلة، العجائبيّة، رحلة "أنس الفقير وعز الحقير"، الأدب القديم، ابن قنفذ القسنطيني.

الملخص:

Sammary :

Travel literature is considered one of the oldest literary genres, known in Arabic literature since the pre-Islamic era, and even earlier in the literatures of other civilizations. This genre was initially linked to voyages and exploration, with the main objective being the discovery of unknown lands and the documentation of impressions and experiences related to them. Among the most prominent travel writings that have come down to us in the form of manuscripts and books from past centuries is the journey "Anas al-Faqir wa ‘Izz al-Haqir" by Ibn Qunfudh al-Qusantini, in which he recounts the stories of pious saints, describes their shrines and zawiyas, and records the wondrous and strange events he encountered throughout his journey.

This study aims to shed light on the elements of the marvelous mentioned in the journey, attempting to analyze their manifestations and understand their meanings within their cultural, religious, and literary context.

Keywords: Travel Literature, The Marvelous, Classical Arabic Literature, Ibn Qunfudh al-Qusantini